رسالة فقير

الطوباوي الأب انطوان شفريه

الاب يوحنا جاموس
من كهنة البرادو

الاهداء

الى

اخوتي الكهنة والعلمانيين

الذين يحيون،

بالفقر والألم والفرح،

سر التجسد

وسر الفداء

وسر القيامة ...

وبكلمة واحدة: سر الحب.

الاب يوحنا

في زمن فاض فيه الحديث عن الكاهن والكهنوت، وعن رسالة الكنيسة ورسالة العلماني، شاء كهنة البرادو الشرقي أن ينقلوا الى اخوتهم الكهنة، والى اخوانهم العلمانيين، كتاباً يعرض عليهم نموذجاً من حياة كهنوتية، وصورة عن رسالة الكنيسة، تحاول أن تحيا منها فئة" من كهنة بلادنا العربية، في الاتحاد مع المعلم الالهي، بالفقر والألم والحب وبفرح القيامة.

عسى أن يرسم هذا الكتاب لوحة أخَّاذة سيتعشّقها القراء عن حياة كاهن اليوم في بلاد لا تزال تُعَدّ من البلدان النامية أو المتخلفة، أو من بلدان العالم الثالث، فيها ما فيها من المتناقضات الطبقية والسيكولوجية والايدولوجية والعرقية والدينية والطائفية والروحية ...

يعود بنا الاب انطوان شفريه الى الانجيل؛ وما الانجيل الا بشرى إلهٍ تواضعَ في مذود، وارتفع على صليب، ومنح العالم مجاناً العطية السنيّة ألا وهو سر الحب الالهي اللامتناهي.

وما الفقير الذي سيقوم بهذه الرسالة الالهية نفسها الا ذاك الذي اتخذ المسيح معلماً ونموذجاً وهدفاً، به يستنير، واليه يصبو، حاملاً اليه، بكلتا يديه وملء قلبه، البشرية جمعاء.

نحن بعيدون قريبون عن عصر الاب انطوان شفريه حين كان العالم الغربي يتمخض، في الألم والفوضى، عن عالم جديد، وحين كانت الكنيسة تعاني، بسبب هذا المخاض نفسه ومن جرّاء التقاليد المتراكمة عليها أجيالاً، آلاماً مبرحة فظيعة لم تتخلص منها حتى يومنا الحاضر.

فنحن، الكهنة والعلمانيون المؤمنون بالمسيح، أحوج الناس في هذا العصر الى أخ يساعدنا في العودة الى الانجيل، كل الانجيل، لنتأمل الاله في طفل، ونجثو على أقدام مصلوب، ولنبقى خُشَّعاً ساجدين أمام قربان حي، عربون الحب، لكي تنطلق من ثمّ الى اخوة لنا يتخبطون في شقائهم المادي والروحي، عسانا نُسهم في ارجاع النور والسعادة الى القلوب العطشى اليهما.

الاب يوحنا

مقدمة الطبعة الاولى

1972

مقدمة الطبعة الثانية

ما ان ظهر كتاب "رسالة فقير" عام 1972 يلخص روحانية الاب انطوان شفريه، مؤسس جمعية البرادو، حتى نفدت نسخه الألف خلال سنتين، وكأن عطشاً في النفوس قد ارتوى باطلاعه على روحانية محورها المسيحُ الفقيرُ يتتلمذ له من يريد أن يسير في الخطاه، بعودة مستمرة الى الانجيل المقدس، يدرسه كلمةً كلمةً، وكأنه يغبُّ من ينبوع جديد، ماؤه عذب، وكأنه يتغذى، لأول مرة، من خبز الهي، طعمُه لذيذ.

وألح عليّ الاصدقاء أن أعيد طبعه. فلبيتُ الطلب مسروراً، وها أنا أزفّ هذه الطبعة الثانية ليس فقط الى اخوتي الكهنة وأخواتي الراهبات انما أيضاً وخصوصاً الى اخوة لي وأخوات من المؤمنين الذين ألحّوا هم أيضاً في طلب اعادة الطبعة وقد أخذوا هم أيضاً بروعة روحانية الاب شفريه وبساطتها الانجيلية. وقد بدأت تظهر هنا وهناك جماعات من المؤمنين يحاولون أن يعيشوا، كأفراد وكجماعات روحانية البرادو. ان دلّ ذلك على شيء فإنما يدل على "هبات الروح" يحرّك الأفكار والقلوب.

لم أشأ أن أتقيد في الطبعة الثانية بما جاء في الطبعة الأولى. انما رتَّبت الكتاب ترتيباً آخر يكون أكثر تسلسلاً بموجب روحانية الاب انطوان شفريه ومنطقه. كما أضفت بعض النصوص الأخرى التي ارتأيت أنَّ لها محلا في هذا الكتاب، وذلك كله بعد أن أخذت رأي حضرة الاب بيير برتولون واضع الكتاب الاصلي بعنوان Le Message du Père Chevrier عام 1960.

وكان في مشروع هذه الطبعة الثانية أن أضيف عليها 150 رسالة من رسائل الاب انطوان شفريه كتبها الى أشخاص مختلفين، اخترتها من بين ال 550 رسالة التي جمعت حتى الآن. الا اني خفتُ أن يصدر كتابي ضخماً أكثر من المعتاد فيُخيف القارئ العادي، لذا عوّلت على أن أصدر الرسائل ال 150 في كتاب ثانٍ يصدر مع هذا الكتاب من "رسالة فقير"، مقدِّماً لبعض أشهر مراسلي الاب انطوان شفريه حتى يتعرف القارئ على من يكتب اليهم "قديسنا هذا"؛ مع العلم أن هذه الرسائل لم يُطبع منها ولا رسالة في كتاب "رسالة فقير" الذي ضمّ مع ذلك 20 رسالة.

وبينما هذه الطبعة الثانية ومجموعة الرسائل تحت الطبع يعلنن قداسة البابا بولس الثاني الاب انطوان شفريه طوباوياً، وذلك في 4 تشرين الأول 1986 في مدينة ليون نفسها ويحجّ الى كنيسة البرادو الفقيرة في السابع من الشهر ويجثو بخشوع أمام قبر ضمّ رفاة من عاش فقيراً من أجل الله والمساكين، ومات مع مساكين الله.

آمل أن يجعل "روحُ يسوع" هذه الطبعة الثانية تأتي بالخير العميم لمعرفة أعمق لسيدنا يسوع المسيح ولخادمه "القديس" انطوان شفريه، وللتشبه بالمعلم الالهي الذي هو "طريقنا وحقنا وحياتنا".

ليمونة 1986

15 آب

عيد انتقال السيدة العذراء مريم

بعض التواريخ

قبل أن نصغي الى الاب انطوان شفريه P . Antoine Chevrier، لنحاول أن تتعرَّف على سيرته بايجاز كبير* :

وقبل كل شيء لنعطِ بعض التواريخ:

16/ 4/ 1826 ولادة انطوان شفريه

18/ 4/ 1826 عماده

ت1 1843 التحق باكليريكية الارجانتيير (ليون)، للآداب والفلسفة والرياضيات.

ت1 1846 التحق باكليريكية القديس ايرانوس الكبرى.

1847 صدور البيان الشيوعي.

26/ 5/ 1847 نال الدرجات الشموسية الاولى.

شباط 1850 شهر استراحة.

25/ 5/ 1850 السيامة الكهنوتية.

28/ 5/ 1850 عُيّن مساعداً لكاهن رعية القديس اندراوس في الكيّوتيير في ضواحي ليون.

1853 كانت له اولى لقاءاته مع الاب الكبوشي برونو الذي سيصبح مرشده الروحي.

ك1 1855 اضطر للانسحاب من الرعية ليستريح مدة 4 أشهر بسبب اعياء ألمَّ به.

31/ 5/ 1856 اجتاحت فيضانات هائلة بعض أحياء مدينة ليون بسبب ارتفاع مياه نهر الرون. كهنة رعية القديس اندراوس يشاركون في عمليات الانقاذ.

اشتهر الاب انطوان شفريه ببطولته في انقاذ المنكوبين وتعاظم صيته. الجميع يتكلمون عن شجاعته.

* كتاب "سيرة فقير" للمؤلف نفسه، يتحدث عن حياة الاب شفريه. اطلب عند كهنة البرادو وعند المؤلف.

عيد الميلاد انها ليلة "اهتدائه". قال:

1856 بينما كنتُ أتأمل أمام مذود المغارة كلمة الانجيل "والكلمة صار بشراً فسكن بيننا" شعرتُ في قلبي باندفاع جارف الى ان أغيّر حياتي: "كنتُ أقول في نفشي: نزل ابن الله على الارض لكي يخلِّص البشر ويهدي الخطأة الى التوبة. ولكننا ماذا نرى؟ لا يزال البشر يهلكون ... فقررت عندئذ أن أتبع سيدنا يسوع المسيح عن كثب كي أصبح أكثر جدارة للعمل، فتكون لي فعالية أكبر في خلاص النفوس."

1857 يجري مشاورات عديدة، منها مع خورس آرس. الجميع يشجعونه. أما في الرعية فيعيقون رغبته في الفقر وفي نشاطاته الرسولية. فيقرر الانسحاب من العمل في الرعية.

آب 1857 يترك الاب انطوان الرعية ويصبح مرشداً روحياً في "دار الطفل يسوع" التي أسسها السيد كميل رامبو للفقراء.

وبما أنه يحل في وظيفته هذه محل الآباء الكبوشيين اعتاد الناس أن ينادوه منذ الآن :"الاب شفريه".

أما في هذه "الدار" فهو يحيا حياة فقر قاسية ويرغب جدّياً في أن يقف ذاته خصوصاً على "التعليم المسيحي". وفي هذه الاثناء تدخل الآنسة ماري بواسّون الى "الدار". وماري هذه شابة لها 22 سنة من العمر. كانت عاملة نسيج وستصبح فيما بعد الرئيسة الاولى لراهبات البرادو تحت اسم "الاخت ماري".

ك2 1859 يقيم الاب انطوان 15 يوماً في روما للمرة الاولى.

ويشعر سريعاً أن اتجاهه ليس كاتجاه السيد كميل رامبو.

يجب الاختيار : إما البناء وإما التعليم المسيحي للأولاد.

1860 ينفِّذ مشروع المناولة الاولى. ويغادر "دار الطفل يسوع" غير أنه يتردد اليها الى أن اقتبل السيد رامبو الدرجات الشموسية وصار بإمكانه أن يواصل فيها الخدمة الروحية.

10/ 12/ 1860 يستأجر الاب شفريه البرادو Le PRADO ذاك الملهى ذا الصيت السيئ. ثم يرتب أولاده تدريجياً في هذا المكان: الصبيان الى يسار الكنيسة والبنات الى يمينها.

25/ 5/ 1861 ينال الشماس كميل رامبو السيامة الكهنوتية، فيستطيع حينئذ الاب شفريه أن يستقر نهائياً في البرادو.

العناية الربانية تعيد اسرة البرادو كلها.

10/ 10/ 1861 شراء البرادو نهائياً بمبلغ 80000 فرنك (مبلغ طائل بالنسبة لذلك العصر).

في السنوات الآيات سينضم أشخاص عديدون لمشروع الاب انطون كإخوة مساعدين أو كراهبات أو ككهنة. ولكنه لم يبق منهم سوى الأخت ماري، الوحيدة التي فهمت تماماً فكرة المؤسس واعتنت بصحته التي لم تكن دائماً على ما يرام.

1864 يصدر ال Syllabus الذي يدين فيه البابا بيوس التاسع التقديم والليبرالية والحضارة الحديثة.

12/ 9/ 1864 يسافر الاب انطوان للمرة الثانية الى روما حيث كتب هذا الطلب الى قداسة البابا بيوس التاسع:

"قداسة الباب:

أنا الاب انطوان فرنسيس ماري شفريه من رهبانية القديس فرنسيس الثالثة، اجثو بتواضع عند قدمي قداستكم، وأعرض عليكم رغبة عدة كهنة من مدينة ليون ومن أبرشيات أخرى في أن يحيوا معاً، بمقدار ما تسمح لهم السلطة الاسقفية في أبرشياتهم، حياة منتظمة، ويمارسوا رسالتهم المقدسة دون أي مقابل، الا ما يجود به عليهم المؤمن تلقائياً.

وإني أطلب من قداستكم لي ولهؤلاء الكهنة البركة".

أيار 1865 يؤسس المدرسة الإكليريكية التي يرجو بواسطتها أن يهيئ ويثقّف كهنة يتقبلون أفكاره: كهنة فقراء لتبشير الفقراء.

1867 ينعقد المجمع الفاتيكاني الاول ويحدد خصوص العصمة البابوية.

1867 يقبل الاب انطون رعية "طاحونة الهواء" في أبرشية مدينة غرونوبل في جوار ليون. والاب مارتينه يقيم في هذه الرعية كمساعد له. وسرعان ما يقرر الاب مباشرة مشروع "كهنة الرعايا الفقراء".

31/ 7/ 1869 ينال الشماس جاريكو السيامة الكهنوتية في كنيسة البرادو بوضع يد سيادة المطران دوبوي. انه التلميذ الاول للاب شفريه.

حزيران 1871 يُعيَّن الاب مارتينه كاهناً لرعية "طاحونة الهواء" بدل الاب انطون. وذلك دون أن يكون للاب انطون أي علم بالأمر! يحزُّ في قلبه هذا التصرّف الا انه يتألم بصمت.

1872 تتعرف الآنسة اميلي تاميزيه، مؤسسة المؤتمرات القربانية، على الاب انطون وتسترشد عنده حتى عام 1874.

30/ 3/ 1874 يصاب الاب بمرض خطير وينجو منه بصعوبة في أواخر أيار.

24/ 10/ 1874 تبدأ مرحلة "ابتداء الراهبات" في البرادو.

ت2 1874 تنشأ اخوّة قليلة العدد في ليمونه Limonest مؤلفة من الاب جاريكو وأربع راهبات وعشرين ولداً.

أيار 1875 يسافر الاب انطون للمرة الثالثة الى روما مع المطران دوبوي الذي يقدمه الى قداسة البابا بيوس التاسع.

15/ 7- 15/ 8 صحة الاب ضعيفة جداً، واقامة اجبارية في فيشي.

1876

ت1 1876 يقبل الاب انطوان، بعد إلحاح شديد، أن يرسل الى روما أربعة شمامسة. انهم الشمامسة الانجيليون الأربعة الأولون الذين تخرَّجوا من المدرسة الإكليريكية. من بينهم الاب دوره Duret وبروش Broche اللذان سوف يخلفانه في ادارة البرادو.

14/ 3/ 1877 يسافر للمرة الرابعة الى روما. وكان الاب انطون قد انفرد في ليمونه منذ شباط لهييء هذه السفرة. ومدة شهرين كاملين سوف يشرح لتلاميذه يومياً، وبالتفاصيل، كتاب "التلميذ الحقيقي لسيدنا يسوع المسيح"

26/ 5/ 1877 تجري الرسامات الكهنوتية في كنيسة القديس يوحنا- لا تران. ويغادر الاب انطوان روما في 20 حزيران.

25/ 1/ 1878 يزور رئيس أساقفة ليون البرادو للمرة الاولى. في الربيع يذهب الاب جاريكو الى دير "التراب" La Trappe بينما تتنازع اثنين آخرين رغبة" في الرحيل. انه الامتحان الأكبر بالنسبة للاب انطوان والصدمة العظمى ... غير أن الاب جاريكو سرعان ما عاد الى البرادو.

14/ 6/ 1878 يسافر للمرة الثانية الى فيشي حيث يقيم حتى 8 تموز. ولكن صحته تتدهور يوماً بعد يوم.

في ايلول، تؤخذ له صورة تذكارية في ليمونه

31/ 10/ 1978 يقيم الذبيحة الالهية للمرة الاخيرة.

8/ 11/ 1878 يدخل مستشفى القديس لوقا. وهناك ينظم كل ما يختص بأمور خلافته في البرادو

6/ 1/ 1879 يصبح الاب دوره رئيساً البرادو بعد أن قدَّم الاب انطوان استقالته من هذه المسؤولية وقَبِلها رئيس أساقفة ليون.

19/ 4/ 1879 ذكرى ميلاده، يقبل الاب انطوان سر المرضى من يد المطران دوبوي.

أيار 18979 يُنقَل الى ليمونه.

29/ 9/ 1879 يطلب العودة الى البرادو حيث يريد أن يموت.

2/ 10/ 1879 يرقد الاب انطوان شفريه بالرب نحو الساعة التاسعة مساء.

6/ 10/ 1879 يُدفَن جثمانه في كنيسة البرادو نفسها حيث يشيّعه "عشرة آلاف شخص" وكثيرون يقولون "مات قديس الكيوتيير"

كيف يجب أن تتخيَّل الاب شفريه؟

لدينا بعض المستندات التي تصفه لنا:

هناك صورة اولى تُظهِره لنا عندما كان في السابعة والعشرين من العمر وقد ارتسم كاهناً حديثاً. انه يقف مستقيماً جداً، "وقفة رسمية"، شعره طويل متموّج. طالما شاء الاب شفريه ان يمزّق هذه الصورة غير أن والدته حافظت عليها وأهدتها فيما بعد إحدى المحسنات الى البرادو ... وقبل وفاة الاب بفترة وجيزة أهدتها هذه المحسنة كهنة البرادو الشبان، شريطة ألاَّ ينسخوا عنها صوراً أخرى.

يمكن مقابلة هذه الصورة بثلاث أخرَ أخذت للاب انطوان، اليوم نفسه، في ليمونه، في ايلول سنة 1878:

تمثله إحداها جالساً يشرح كتابه "التلميذ الحقيقي" المفتوح أمامه، وبقربه الآباء الشبان والاب جاريكو. الجبين عالٍ والنظر عميق والشفاه مطبقة. توحي هذه الصورة بالرصانة والتقشف.

أما في الصورة الثانية فالأب واقف وحده يُرينا صليبه. اننا نستشفّ من هذه الصورة مرض الاب وآلامه الا أن الهدوء يسيطر عليه.

وفي الثالثة أخيراً تراه يتأمل في الصليب. يعبّر الوجه عن الرصانه، غير أن التقشف قد خفت حدته، ونلمح حبّه للمصلوب الذي ينظر اليه.

يجب ألا نعير هذه الصورة الأخيرة كبير أهمية لأن الاب انطوان لم يكن مسروراً أن تُؤخذ له، علاوة على الالم الذي كان يشد ملامحه ويجعلها غير طبيعية.

أما القالب من الجبصين الذي أخذ عن جثمانه فان لنا فيه ملامحه الحقيقية. ويمكننا من ثم أنَ نعجب من النبل الذي يظهر فيه، خصوصاً في ذاك الجبين العريض الذي يدل على الذكاء، والانف المستقيم والذقن الواضحة المعالم. ويقال لنا أن الاب انطوان كان طويلاً كأبيه، مع شيء من اللطف. وكان له جبين أمه وعيناها. كان جميلاً.

أما مظهره فكان هادئاً عادة. ولم يكن يحب المزاح الثقيل الصاخب، ولكنه كان يضحك بسهولة، ويستقبل الجميع بابتسامة لطيفة.

يمكننا أن نسرد حوادث وقصصاً عديدة نقلها لنا عنه الرواة وفي جميعها يلاحظ أن الاب انطوان لم يكن ذاك الزاهد المتقشف الجاف.

هذه قصة صغيرة تنهي بها هذه اللمحات التاريخية الخاطفة:

... "وجاء سنة أخرى الى ليمونه، في نهاية شهر شباط. وعندما وصل قلت له "يا أبونا! الجميع زعلانين منك". فسألني: ولماذا؟ قلت: لأنك لم تأتِ الينا في مطلع السنة الجديدة ولا يوم عيدك، فلم يستطع الاولاد أن يقولوا لك شيئاً. فأراف الاب انطوان: المسألة في غاية البساطة: أحضري باقة زهور وارسليها الى غرفتي فأتظاهر بالدهشة، ثم آمر بأن يُهيّأ لنا غذاء طيب، وسنأكل كلنا معاً .. فسُرَّ الاولاد كثيراً وكانوا يقولون: لقد غلبناه ..."

(اعمال التطويب – شهادة الاخت رينو)

وها الآن صفحة من الاب انطوان بعنوان "افتتاحية كمدخل الى اسلوبه.

تظهر هذه الصفحة، لأولة وهلة، وكأنها استنتاج منطقي مجرَّد، وكأنها نظرية جافة. ولكن لنتذكرْ أن الاب انطوان لا يتحدث الا الى شخص يشعر بالرغبة في اتّباع سيدنا يسوع المسيح، الى شخص يفهم، كأنما بالحدس، ما سوف يشرح له، الى شخص يريد أن يكون بكليَّته ليسوع المسيح.

فليس الامرُ اذن جردَ مبادئ، بل ان الاب انطوان لا يهتم الا بتغذية الميل الروحي الكائن في أعماق من يتحدث اليهم، وذلك لكي يساعدهم على أن يصبحوا تلاميذ حقيقيين لسيدنا يسوع المسيح.

ثم اننا نلاحظ أن هذه الصفحة لا تبدأ بفكرة عامة بل بنظرة الى يسوع المسيح كما يصفه الانجيل ...

هذه الأسطر القلائل تحمل طابع الاب انطوان شفريه: تجرّد "في الاسلوب وواقعية" انجيلية. وبتعبير آخر: نظرة" كلُّها بساطة الى يسوع، ودعوة" الى الاقتداء به.

افتتاحية

"يتكلم سيدنا يسوع المسيح غالباً في انجيله عن تلاميذه: انه يختار تلاميذ، ويتحدث اليهم؛ يثقفهم على حدة ويعطيهم قوانين خاصة؛ وبكلمة واحدة: انه اختيار خاص لجماعة من الرجال يخصّونه ويبقون معه.

"ما هو التلميذ بصورة عامة؟ انه شخص اتخذ شخصاً آخر معلماً له، يتبعه، يصغي اليه، يمنحه ثقته، يقبل عقيدته ويضعها موضع العمل.

"ما هو تلميذ يسوع المسيح؟ تلميذ يسوع المسيح هو اذن شخص اتخذ يسوع معلماً له، يتبعه، يمنحه ثقته الكاملة، يصغي الى عقيدته ويطبّقها في حياته. وليس له الاَّ رغبة واحدة ألا وهي خدمته وحبه وتطبيق كل ما علّمه.

"وما العمل لكي يصبح الانسان تلميذاً حقيقياً ليسوع المسيح؟ لكي يصبح الانسان تلميذ يسوع المسيح الحقيقي يجب عليه قبل كل شيء أن يتعرَّف اليه، أن يتعلم من هو. وهذه المعرفة ستساعدنا في عطاء ذاتنا له. وكلما عرفناه تعلّقنا به، وأحببنا عقيدته، وبمقدار اك ازدادت رغبتنا في اتّباعه وتنفيذ كل ما يوصينا به.

"فعلمنا الاول اذن هو أن نعرف يسوع المسيح لكي نكون، بالتالي، كلياً له".

ت ح 45 – 46

2

* تشير النجمة على أن الكلام هو من المؤلف.

"يشير القوسان على أن الكلام هو من الاب انطوان شفريه ت ح : كتاب الاب انطوان شفريه "تلميذ يسوع المسيح الحقيقي" تعود المراجع الى صفحات الطبعة التي حققها الاب بيير برتولون عام 1968 وهي المتداولة بين أيدينا حالياً.

م 3: مخطوط الاب انطوان شفريه ورقمه.

I معرفة يسوع المسيح

❖ لا نبالغ مهما قلنا عن الاهمية الكبرى التي يعطيها الاب شفريه لمعرفة يسوع المسيح.

ذلك لأنه كان يعلم أن حياته كلها تستند الى النعمة التي أفيضت في نفسه ليلة عيد الميلاد عام 1856 في كنيسة مار اندراوس الرعائية: ان الذي اختاره وفرزه لرسالة خاصة يريد أن يعلن فيه ابنه الواحد. (غلاطية 1: 16)

لذلك، فان الاب شفريه يقترح على الذين يريدون أن يتبعوا الطريق نفسها أن يؤسسوا، هم أيضاً حياتهم كلها، على معرفة يسوع المسيح.

الى الإكليريكيين البرادو في 2/ 1/ 1875

أبنائي الأعزاء

قرأت بكل سرور الرسالة التي بعثتموها اليَّ بمناسبة مطلع العام الجديد. ان ما فرَّحني وعزَّاني في الرب هي تلك الرغبة في الفضيلة التي تعبّر عنها رسالتكم والرغبة أيضاً في الاقتداء بفضائل سيدنا يسوع المسيح. إي نعم، أولادي الأعزاء، ستعوّض عليَّ كل أتعابي ان رأيت الرب يتجلى في حياتكم، وان لمست شيئاً من تلك المشاعر السامية والنبيلة والمسيحية الحقة التي تليق بالحالة الرفيعة التي ينتدبكم اليها المعلم.

اصغوا غالباً في صلواتكم وفي تأملاتكم الى كلمات المعلم هذه: اتبعني، اتبعني. تلك الكلمات التي جعلت بطرس ويعقوب ويوحنا وفيليبس وغيرهم يتبعونه والتي خلقت منهم رسلاً مشوا بجرأة وشهامة في طريق الفقر والألم والحب.

اني أصلى من أجلكم، أبنائي الأعزاء، أنتم تعزيتي في شدائدي وأملي في ضجري.

يا لسعادتي حين أفكر انه سيأتي يوم "تلقِّنون فيه الفقراء الديانة، وانكم سوف تتفانون في خدمة المعلم الصالح، زانكم سوف تقومون بما عجزت أنا عن صنعه وانكم سوف تصبحون يوماً قديسين، وانكم تحاولون أن تصبحوا بالحقيقة مسحاء آخرين، وان الحب سوف يلهب قلوبكم ويجعلكم تحملون ثماراً طيبة تدوم الى الأبد.

أجل! صيروا قديسين، هذا كل عملكم اليوم: انموا في حب الله. ولكي تحققوا ذلك انموا في معرفة يسوع المسيح لأن هذه المعرفة مفتاح كل شيء.

أن نعرف الله ومسيحه ... هنا يكمن كمال الانسان، وكمال الكاهن، وكمال القديس. عساكم الى هذه الغاية تصِلون ...

صلوا لأجلي، إني أصلي لأجلكم.

وبعاطفة كلها أبوّة أبقى لكم الاب والصديق في المسيح يسوع معلمنا.

انطوان شفريه

م 13 و م 50

❖ أما معرفة يسوع المسيح فليس "كالدرس" وسيلة للحصول عليها. هذه الكلمة التي يستعملها الاب شفريه وهو يتكلم مع الشمامسة، أي مع طلاب كهنوت، تكشف بوضوح أن الجهد الذي يجب أن يبذل للحصول على معرفة يسوع المسيح جهد جدّي، بل هو أكثر جدية من أي جهد آخر يُبذل للحصول على أية ثقافة أو على أي اختصاص يهم الرسول.

لكي نفهم فكرة الاب يجب أن نلمس التمييز الذي يضعه بين ما هو فائق الطبيعة وما ليس منه. لنأخذ تشبيهاً قد يساعدنا: ان ما هو يعزّ بالأكثر على الأهل في بنيهم هو، قبل كل شيء، انهم أبناؤهم. وكل ما يمكن أن يفعله هؤلاء الأبناء يبقى لا قيمة له لو لم يفعله أولادهم بالذات. وهكذا فالرجل الروحي يمكنه أن يفهم المسافة الشاسعة التي تفصل بين "معرفة يسوع المسيح" "وكل الباقي" الذي يصبح "لا شيء".

"دراسة يسوع المسيح. امها الدراسة الأكثر أهمية، الدراسة الأساسية بالنسبة الى كل الدروس التي يمكننا أن نقوم بها في ما هو من أمر سعادتنا وعلمنا ومصيرنا وسلوكنا. انها الأكثر فائدة، الأكثر ضرورة، والأكثر رصانة وجدّية، بها تتعلق سعادتنا على هذه الأرض وفي الأبدية.

م 8

دراسة يسوع المسيح هذه تقوم على قراءة الانجيل المستمرة وعلى ممارسة التأمل الطويل.

الى الاب جاريكو

ليون في 20/ 3/ 1868

أخي العزيز وصديقي

اني مقيم حالياً عند الآباء الكرمليين لكي أصلي قليلاً أمام الله ولكي أدرس فقر سيدنا يسوع المسيح. اني أقرأ الانجيل المقدس. يا لحقيقة وجمال كل ما قاله يسوع! . وكم ينبغي لنا أن نحاول تطبيقه في حياتنا! نعم أخي العزيز، لندرس دوماً هذا الكتاب الجميل ولا نقترنَّ من قراءته، لكي نحقق ما نراه فيه. تلك هي قاعدتنا، كما تعلم: المذود والجلجلة وبيت القربان، تلك هي محطاتنا كي نصل الى كمال دعوتنا. عندما أرى اني لا أزال مقصّراً الى هذا الحد أتأوّه أمام معلمنا وأسأله الصفح عن ضياع الوقت الطويل. ولكن لنتشجع! ... فإننا، بنعمة سيدنا يسوع المسيح، سنمشي على خطواته في الفقر الكامل والموت والمحبة.

كلّمتني عن صلاتك. انك تعلم طريقتنا البسيطة: المسبحة الوردية، ودروب الصليب والقداس الالهي. أعرفْ جيداً هذه الأمور الثلاثة تعرف كل شيء. ثم انك تعلم أن القديسين توما وبونافنتور لم يكن لهما كتاب آخر. المذود والجلجلة وبيت القربان، هذه هي المحطات الثلاث التي أريد أن أتركك دوماً فيها. لتكن أسرار سيدنا يسوع بالنسبة اليك أموراً عادية جداً بحيث يمكنك أن تتحدث عنها كما عن أمر يخصك. انظرْ الى الناس كيف يتقنون الحديث عن حالتهم، عن لباسهم، عن مصالحهم. عندما تقرأ خذْ أساساً لتأملاتك حوادث السر الالهي وادرس كل كلمة، كل عمل، كل فضيلة، وحاول أن يستقر في ذهنك وفي قلبك وفي مسلكك أيضاً. سجّلْ ما يؤثّر فيك أكثر من غيره، فسوف تتذكره بسهولة ثم ان ذلك يفيدك. اننا نثقف أنفسنا بهذه الوسيلة.

انك تعلم اننا لا نريد أن نصبح علماء جهابذة ولا خطباء متفوقين بل فقط ملقّنين صالحين للديانة.

استمر على ممارسة "درب الصليب". وعندما تقوم به لا تسرع ولا تقلق لكي تنهيه. بل ان استعذبت "مرحلة" منه، أو أنارك الروح القديس على أحد مقاطع هذه المرحلة، فلا بأس، قفْ عندها وتذوّق نعمة الرب وتقبّل النور الذي يأتيك. يجب ألا نهمل نعمة الساعة وأنزارها عندما تأتينا. وان لم تنهِ "درب الصليب" فلا عليك!. يجب أن تفتش عن النعمة والنور قبل كل شيء وليس عن عدد الصلوات وطولها ...

أخيراً صلِّ الى الله من أجلنا جميعاً، بشفاعة الرسل القديسين، كي نصبح رسلاً حقيقيين، وكي نكون متحدين جميعاً في المستقبل بروابط المحبة والفقر والتضحية.

والدتي بخير، والاخوات كذلك. اننا نهديك تحياتنا بواسطة قلب يسوع، ونطلب اليه تعالى أن تصبح كاهناً حسب قلبه. ثقْ بالله ... دمت بخير.

انطوان شفريه

م 13 و م 50

❖ لكي ندخل في معرفة يسوع المسيح يقترح علينا الاب شفريه أن تتأمل في شخصية السيد المسيح الالهية ذاتها، وفي ما نسميه بـ "ألقاب يسوع المسيح".

التأمل بطبيعة يسوع الالهية عملية جافة يصعب ممارستها بسهولة. ورغم ذلك يجب أن نستمر عليها كي نصبح تلاميذ حقيقيين.

ثم ان الاب انطوان يرى فيها، وبحق، أساس الحياة المسيحية كلها. لذا كان يريد في دروس "التعليم المسيحي" أن يطبع في قلوب تلاميذه اعتقاداً راسخاً بألوهية المخلص.

"كان الاب عميق الايمان في الوهية يسوع المسيح وكان يريد أن نلحّ كثيراً في دروسنا على هذا الموضوع الهام.

"لقد كان متمسكاً به ولا ينفك يردّده علينا جاعلاً منه أساس الحياة المسيحية. وكان يقول: لا يعرف الناس جيداً يسوع المسيح ولا يؤمنون بألوهيته، إلا بصورة سطحية جداً. العالم غير مقتنع من هذه الحقيقة والاولاد يتعلمونها بصورة غامضة. ليس لديهم ايمان قوي وراسخ بألوهية السيد المسيح. الناس يعجبون بالسيد المسيح، يحرمونه، كأنه شخصية عظيمة، بيد انهم لا يرون فيه بصورة أكيدة، الصفة الالهية، الانسان- الاله. كلا! ثم كلا! الناس لا يؤمنون! ...

"يجب أن نجعل العالم يؤمن بيسوع المسيح، وأن يعرفه كاله حقيقي. انها الحقيقة الاساسية التي يجب أن تطبع في نفوس أولادنا. (من دفاتر الاب دوره)

آه! يا أبنائي! ما أجمل الايمان! وما أثمنه! من حصل على الايمان أتى بالمعجزات. انه يعبر الحياة دون خوف ويذهب مباشرة الى الهدف. اني لا أخاف من قطع الرأس للدفاع عن ايماني.
(من دفاتر الاب دوروه)

"معرفة يسوع المسيح فوق كل معرفة"

"كان القديس بولس يضع معرفة سيدنا يسوع المسيح فوق كل أنواع المعرفة وكان يفتخر انه لا يعرف الا يسوع المسيح ويسوع المسيح المصلوب (1 كو 2: 2) هنا تكمن المعرفة الاسمى والتي تفوق كل المعارف والتي وحدها تستطيع أن تجعل منا كهنة حقيقيين ولائقين به. لكي نبشر به، ألا يجب أن نعرفه؟ لكي نقتدي به، ألا يجب أن نعرفه؟ وكيف يمكننا أن نعرفه ان لم ندرسه؟
(رسالة الى الإكليريكيين تاريخ 1872)

"معرفة يسوع المسيح هي مفتاح كل شيء. معرفة الله ومسيحه، هنا يكمن كل الانسان، وكل الكاهن وكل القديس" (من رسالة الى الإكليريكيين عام 1875)

"فعملنا الاول هو اذاً معرفة يسوع المسيح لكي نكون كلياً له". ت ح 46

"معرفة يسوع المسيح، دراسته، التأمل فيه، هذه أهم أعمالنا لكي نصبح حجارة في بناء الله الروحي". ت ح 103 – في الحاشية

❖ وان الاب شفريه يُلفت نظر جميع من يسترشدون عنده الى يسوع المسيح؛ كتب الى احدى الراهبا عام 1878.

"يظهر لي انط تهتمين أكثر من اللازم بذاتك وانك لا تفكرين بكفاية بربنا يسوع المسيح، معلمنا الالهي. انك لن تجدي الا الشقاء في ذاتك، وبمقدار ما تفكرين بذاتك بمقدار ذلك تصبحين تعيسة. ارفعي عينيك قليلاً الى لعلاء، انظري الى سيدنا يسوع، ادرسي كلامه الالهي وحياته الالهية. امتلئي منه، تغذي منه، وسوف ترين أن جميع الخيالات سوف تزول. ليكن المسيح يسوع اذاً حياتك، أختي العزيزة، ليكن المسيح يسوع حبك"

❖ وفي رسالة أخرى الى احدى راهبات البرادو 1873

"يجب أن نفكر أكثر بسيدنا يسوع المسيح من أن نفكر بذواتنا وبشقائنا. لو نظر رسّام الى ذاته باستمرار عوض أن ينظر الى من يريد رسمه لما استطاع أبداً أن يتم لوحته.

هذا ما عليك أن تقومي به، ابنتي العزيزة. تطلعي غالباً غالباً الى سيدنا يسوع المسيح ولا تعتبري نفسك كثيراً، فتحصلين حينئذ على مزيد من الحياة. اجتهدي في الاقتداء به دون اضطراب ودون عناء. تأملي فيه بحب وتشوّقي الى التشبه به، هذا يكفي. أخطاؤكِ، شقاؤكِ ... اتركيها في بحر رحمته. عندما نحب يسوع لا نهتم بالباقي الا نادراً".

وكتب الى الآنسة غريفه عام 1876:

"لا تهملي التأمل، ادرسي سيدنا يسوع المسيح، هنا يكمن كل شيء. وتذكري يومياً احدى كلماته أو احدى تصرفاته لكي تحققيها أو لكي تتذوقيها على الأقل".

"لا توجد الحياة الفائقة الطبيعة الا في معرفة يسوع وفي دراسة أقواله وأعماله. كلة منه ترفع النفس، تصرّف" واحد منه يعمل فينا أكثر من كل الباقي".

(من رسالة الى السيدة فرانشه عام 1869)

"صلوا كثيراً، أبنائي الأعزاء. فان الصلاة والصليب والمذود تعلّم أكثر من الكتب، والعلم الذي نجنيه على أقدام المصلوب أو أمام بيت القربان الأقدس لهو أقوى وأصدق، ويلائمنا أكثر من العلم الذي نحصل عليه في الكتب".

(من رسالة الى الإكليريكيين عام 1876)

❖ في النص التالي نلاحظ كيف أن الاب شفريه يلحّ على تسمية يسوع: "الكلمة". وفي مقاطع أخرى نراه يتأمل في يسوع "معلمنا". وهو يجب أن يسميه أيضاً بـ "الحق".

ولكننا نحب أن نبدي هنا ملاحظة: ليس بود الاب شفريه ان يتكلم كلاماً لاهوتياً عندما يصرّح عن حاجة الله لأن يعطي البشر ذاته. على كل حال ليست المسألة في أن ترغمه الخليقة على اعطاء ذاته، بل المسألة في الامانة الالهية للذات الالهية.

والكلمة صار بشراً فسكن بيننا

وهذا الكلمة الداخلي، الذي هو فِكرِ الله، الذي هو في الله منذ الازل، الذي هو الله لبِسَ شكلاً خارجياً ليظهر للناس.

الفكر داخلي ولا يمكن أن يكون الا داخلياً. فلكي يصبح خارجياً، لكي يظهر للخارج، لا ب\ له من أن يلبس شكلاً خارجياً. وهكذا فإننا ان لم تتكلم أو لم نكتب فان فكرتنا تبقى داخلية، محجوبة، ولا يعرفها أحد. فلكي نُظْهِرَها لا بد من أن نُلبِسها شكلاً خارجياً.

وهكذا في الله. فإن فكره أو كلمته بقي محجوباً في داخله ومجهولاً طالما انه لم يلبس شكلاً. ولكي يُظهر ذاته اتخذ له صورة.

ولكننا نلاحظ أن التعبير عن فكرتنا هو ضرورة بالنسبة الينا. وانه لا يمكننا العيش بدون التعبير عن أفكارنا، حتى أن البكم أنفسهم يجدون طريقة للتعبير عن أفكارهم الداخلية. ذلك لأن الفكر لا يمكنه أن يبقى مأسوراً ومقيَّداً، والا فان أفكارنا تصبح نافلة بالنسبة الينا وبالنسبة لغيرنا.

فمن وضع اذن فينا هذه الضرورة في التعبير عن أفكارنا وعن رغباتنا وعن ارادتنا وعن عواطفنا... غير الله؟ فان كان الله هو الذي اعطانا هذه الحاجة الحسنة، لماذا لا تكون فيه؟ ! وذلك لكي يعطينا ذاته، نحن خلائقه، وخلائقه العاقلة التي أبدعها على صورته ومثاله! ؟ ولماذا يخلقنا على صورته ومثاله، ولماذا يعطينا غاية روحية لو لم يكن بديه ما يقوله لنا أو يعلمنا اياه؟

من الغريب أن يخلقنا الله أذكياء وعلى صورته ومثاله، وأن لا يقول شيئاً لخليقته، أو لا يعبّر لها عن ارادته. ماذا نقول عن أب ينجب البنين ويتركهم وحدهم دون أن يعبّر لهم بتاتاً عن ارادته وواجباتهم! ؟ ان ذلك غير لائق بهذا الاب، والدم أفضل من هذه الحالة.

أج! قد كلّم الله البشر. كلّمهم "بكلمته". لأن الكلمة هو فكر الله وحكمته. وكما اننا نُلبس فكرتنا شكلاً خارجياً لكي نعبّر عنها، بالكلام أو بالكتابة، بواسطة رسالة أو رسول ينقلان فكرتنا الى الآخرين. كذلك الكلمة الالهي اتخذ شكلاً لكي يظهر للملائكة والبشر. لقد أظهر ذاته لكل الخلائق العاقلة، للملائكة اولاً باتخاذه شكلاً روحياً، بما أن الملائكة أرواح. وأظهر ذاته لآدم اذ اتخذ شكلاً منظوراً ومادياً. ولكن ما هو هذا الشكل؟ لا يصفه لنا الكتاب المقدس. وعندما نقرأ أن الله كلَّم آدم يجب علينا أن نفهم أن الكلمة ابتدأ رسالته على الأرض وشرع في اظهار ارادة أبيه. لم يرَ أحد الآب ولكن الابن هو أخبرنا عنه.

لقد كلّم الله ابراهيم بشكل ملائكة، كما كلّم موسى والأنبياء بأشكال مختلفة. وفي آخر الأزمنة، في الوقت الذي حدَّدته العناية الالهية، كلَّمنا هو ذاته باتخاذه هيئة بشرية.

هذا ما يقوله القديس بولس: بأشكال مختلفة ومتنوعة والكلمة صار بشراً فسكن بيننا.

يا لعظمة السر غير الموصوف! .. الله معنا! .. جاء الله يكلمنا! .. جاء ليسكن معنا، ليكلمنا ويعلّمنا! هذا ما لم يفعله سابقاً الا بصورة عابرة نوعاً ما وسريعة. وفي هذه الأزمنة الأخيرة فعله لنا بصورة حسّية

ودائنة. أخذ هو نفسه صورة بشرية ليسكن معنا، فيتسع له الوقت ليحدّثنا ويقول لنا كل ما يريد الآب أن يعلمنا اياه بواسطته.

نحن لسنا خلائق أهملها الله. لنا اله هو أب يحب أبناءه بالحقيقة ويريد أن يعلّمها ويخلصهم.

م 11 ت ح 61 – 62

❖ نصل الآن الى ألقاب يسوع المسيح. ولكنه من الواضح أن أنظار الاب شفريه لا تنفصل عن التأمل في كلمة الله. هكذا مثلاً عندما يريد أن يشرح لقب يسوع بأنه حكمتنا: انه نورنا لأنه الكلمة الالهي.

من تأمل في ألقاب المسيح بَرَزَت بوضوح المراحل الثلاث في معرفة يسوع المسيح. أو بالأحرى الوجوه الثلاثة لهه المعرفة الروحية. فهذه المعرفة قائمة على علم ينير الفهم، وعلى ميل واعجاب يولّدان الحب، وهي تزهر أخيراً في الاقتداء بالمسيح، لأن الحب، لكي ينمو ويثبت، لا بد له من أن يصبح عملياً.

ان معرفة يسوع المسيح تولّد الحب بصورة حتمية.

ومن الطبيعي أيضاً أن يقودنا التأمل في ألقاب يسوع الى التأمل في الخطيئة. يسوع المسيح هو فداؤنا. من شكّ في ذلك لا يمكنه أن يعرف حقيقة يسوع.

معرفة يسوع المسيح:

لقد أعطى لنا لكي يصبح نورنا وحكمتنا وبرّنا وقداستنا وفداءنا. (ا كو 1: 30)

ما كان الله يستطيع أن يمنحنا هبة أعظم ولا كنزاً أكبر من أن يعطينا كلمته، ابنه المسجود له، بما أنه كل شيء بالنسبة الينا.

انه حكمتنا لأنه نشر حولنا هذه الأنوار الالهية التي تضيئنا وتدلنا على الحق وعلى القيمة الحقيقية لكل الأشياء.

منذ الخطيئة أضاع الانسان الحكمة لأن الله لم يعد ينيره بل قاد نفسه بأنواره الخاصة، فسقط في كل أنواع الجرائم والاخطاء والشقاء.

فأعطي لنا يسوع لكي يصلح هذا الخطأ الفادح ويصبح حكمتنا فينيرنا بأشعته الالهية، ولكي يعلمنا أن نميّز الصواب من الخطأ، الخيرَ من الشر، العدل من الظلم، وأن نقدّر كل الأشياء حقّ قدرها، وأن نضع في المكان الملائم ما هو أرضي وما هو روحي، ما هو زمني وما هو أبدي.

لذا فهو النور الحقيقي الذي ينير كل انسان هو الكلمة الالهي الذي فيه الحياة، والحياة نور البشر. لقد أتى من العلاء ومعه جمال السماء ومجدها وبهاؤها.

لذا قيل عنه انه الشمس المشرقة من العلاء، وشمس العدل، وشعاع النور الابدي، وبهاء الآب.

وهو ليس شعاع شمس آتٍ من العلاء فحسب، كما في القديسين والأنبياء، بل هو النور الالهي بالذات جاء لينيرنا ببهائة. لذا فان الكتاب المقدس يقول: ان الشعب الجالس في الظلمة أبصر نوراً باهراً، والنور أضاء في الظلمة. (متى 4: 16 و يو 1: 5)

أنتم اليوم نور في الرب (أفسس 5: 8) لكي نسير كأبناء النور ونعرف الحق والصلاح، ونميّز العدل والخير.

بنورك نعاين النور (مز 34: 10) لكي تصبحوا أبناء النور وأبناء النهار. (ا تسا 5: 5)

وان سيدنا يسوع المسيح لا يتهيب من أن يقول هو نفسه: أنا نور العالم. (يو 8: 12)

عندما خلق الله العالم وضع الشمس لتنير عيون جسدنا. ولكن الله عندما خلق نفوسنا أعطانا يسوع المسيح كلمته، لينير أرواحنا وأفكارنا، لأن فيه كانت الحياة ولحياة كانت نور الناس. اننا نقبل الحياة والنور الحقيقي بواسطة يسوع المسيح لكي نميّز بين النور الآتي من العلاء وبين كل الأنوار الضعيفة، البشرية والأرضية، التي تأتي غالباً وتنير نفوسنا المظلمة بنور كاذب.

يسوع هو نور نفوسنا كما ان الشمس هي نور أجسادنا. وكما أن الشمس تُفرح أعيننا وتنيرنا وتُظهر لنا الأشياء وتجعلنا نعرف كل شيء ونقدّره، وتدلنا على الطريق الذي يجب اتباعه، وتُظهر لنا قيمة الأشياء والوانها وكيفية استعمالها (فما أعظم فائدة الشمس لأجسادنا) هكذا هو يسوع المسيح. انه شمس فكرنا. بنوره يجب أن نعرف كل شيء: الحقيقة والقيم، الخطأ والصواب، العدل والظلم، الخير والشر. وهذه المعرفة الروحية للأشياء كم هي أسمى من المعرفة الطبيعية التي تعطينا اياها الشمس عن الأشياء المنظورة والمخلوقة ...

فعندما نريد أن نعرف شيئاً ونحكم عليه ونقدّره حق قدره ما علينا الاَّ أن نفتش عن النور، عن يسوع المسيح، وهو ينيرنا ويعلمنا ما قيمة هذا الشيء وكيف يجب أن نقدّره وما يجب أن نقول أو أن نعمل. فنحصل هكذا على النور الحقيقي، وعلى الحكم الصائب على الأشياء.

وبما انه نورنا الحقيقي فهو في الوقت نفسه حكمتنا لأننا ان عملنا بموجب هذا النور لن نخطأ، وان قدامنا ذواتنا في ضوء هذا النور لن نضيع. وإن قدَّرنا الأمور بواسطة هذا النور نحكم عليها بعدل لأنه النور الآتي من السماء والصادر عن ذات الله. انه نور السماء، الحكمة الالهية. فيه جميع كنوز العلم والحكمة.

"وكان ينمو بالسن والحكمة أمام الله والناس وكانت نعمة الله عليه" (لو 2: 40 و 52) كان ممتلئاً نعمة وحقاً.

م 11 ت ح 89 – 91

هذه الحكمة منتشرة في حياة يسوع. أعماله وأقواله أشعة حكمة ونور تضيئنا وتدلنا على كيفية العيش لنكون حكماء بالحقيقة.

انه دستورنا وقدوتنا، وعلينا أن ننظر باستمرار الى هذا النور لنرى كيف يجب أن نقود أنفسنا.

في الرجال العظام نجد أحياناً شيئاً من الحكمة، شعاعاً خافتاً. فالإنسان لا يستطيع أن يتقبل الحكمة بكاملها، بيد أن يسوع المسيح يمتلكها كلها لأنه لم يقبل الروح بمقياس محدود.

ليس من الضروري الذهاب بعيداً للعثور على الحكمة، انها في يد يسوع المسيح. حسنا، للحصول على الحكمة، معرفة يسوع ودراسته. يفتش البعض عن الحكمة في الكتب الضخمة، في الفلسفات، في الأسفار، في الدرس ... انها كامنة في يسوع المسيح.

اني لا أعرف الا يسوع المسيح، ويسوع المسيح المصلوب. يقول بولس الرسول.

(1 كو 2: 2)

لن نصير حكماء الا بيسوع المسيح. م 11 ت ح 91- في الحاشية

هو معلمنا، معلمنا الوحيد

نسمي معلماً من يعلمنا، من يثقّفنا.

يسوع المسيح هو وحده معلمنا. انه كلمة الله، فيه تكمن كل كنوز العلم والحكمة.

ومن حيث كونه كلمة، فهو فكر الله نفسه، انه يمتلك علم الله بأكمله.

انه كلام الآب ولقد اتخذ شكلاً خارجياً لكي يكلّمنا. أتى من السماء ليخاطبنا ويعلمنا مشيئة الله أبيه.

هو نفسه الكلمة الحية التي أرسلها الآب الينا لكي نقرأها ونطبّقها في حياتنا.

نعلم ذلك من الله نفسه، الذي قال: هوذا فتاي الذي اخترتُه، حبيبي الذي عنه رضيت، سأفيض روحي عليه فيبشّر الأمم بالحق. (متى 12: 18)

ويوم التجلي يعلن الآب قائلاً: هذا هو ابني الحبيب الذي عنه رضيت، فله اسمعوا. (متى 17: 5)

ان الله أحب العالم حتى انه جاد بابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية.

(يو 3: 16) م 11 ت ح 95- 96

❖ كُتب النص الاول من النصين التاليين في 31/ 12/ 1857 في المدرسة الإكليريكية الكبرى، ربما بمناسبة رياضة روحية. انه جزء من قاعدة حياة شخصية.

اما النص الثاني بعنوان "الكاهن مسيح آخر" فهو متأخر عنه دون شك. في النص الاول يتكلم الاب انطوان بصيغة المفرد ويقول: أنا. أما في الثاني فيقول: نحن. وبين النصّين لدينا هذه الجملة المكتوبة في موبيك في 6/ 5/ 1858:

"إني أعد يسوع بأن أفتش عن اخوة ذوي ارادة حسنة لكي أضمّهم اليّ".

يا مخلصي الالهي اريد أن أتشبّه بك هل من مثال أجدر بالثقة يمكنني أن اتخذه ! ؟ اجعلني من التشبه بك ومن المطابق لك بحيث أصبح واحداً معك. اجعلني أهلاً لأن أمثّلك.

اني اتخذك معلماً لي ومثالاً. سأكون تلميذك وصورتك. أنرني وقوّتي.

الكاهن أكمل صورة عن المسيح على الأرض. انه كاهنُ الهِ المذود، وكاهنُ إلهٍ إتَّضَعَ حتى أحط الدركات، واختلط بخلائقه المنحطة بالخطيئة. انه كاهنُ الهِ المذود، والهِ الصليب، والاله الذي أعطى دمه عن جلاديه، الاله الذي صبر في الالم وفي الهزء. الكاهن يجدد حياة المسيح ومثاله وفضائله، فعليه اذن أن يكون، على الأرض، أكمل صورة وأصدقها عن يسوع المسيح وقدوة للقطيع. (ا بطرس 5: 3)

الكاهن مسيح آخر:

يجب على الكاهن أن يستطيع القول عن نفسه أيضاً كلَّ ما قاله يسوع عن ذاته. بل يجب أن يصبح اتحادُنا بيسوع المسيح وثيقاً ومنظوراً وكاملاً بحيث يستطيع الناس أن يقولوا عندما يشاهدوننا: هذا مسيح آخر.

علينا أن نجدّد، خارجياً وداخلياً، فضائل يسوع المسيح: فقره وألمه، صلاته ومحبته. علينا أن نُظهر يسوع المسيح الفقير في مذوده، ويسوع المسيح المتألم على صليبه ويسوع المسيح المأكول في الإفخارستيا المقدسة.

م 10 ت ح 101- في الحاشية

II بدراسة الانجيل المقدس

"ان الحكمة والنور كامنان في حياة سيدنا يسوع المسيح. ففي تفاصيل حياته تلك نجد قاعدة سلوكنا وكمال حياتنا وتعليماً أكيداً، لأن الله نفسه يتجلى لنا.

ما تقعُ الانجيل ان لم ندرسه؟ لكي نعرف الانجيل جيداً لا بد لنا من الدخول في التفاصيل الدقيقة لكل حادث وعمل، ففيها نجد الحكمة.

عندما نمر في الشارع ونرى منزلاً جميلاً نقول ونحن عابرون: هذا منزل جميل. اننا لا نرى منه الا الخارج ولا نكوّن فكرة عن داخله، عن هندسته وجماله والرفاهية التي يوفرها. نمرّ وننظر ونقول هذا جميل، فقط، ولا نستفيد منه.

أما اذا دخلنا المنزل وزرنا كل طابق وكل غرفة فنُعجَب بالهندسة والترتيب وبجمال الداخل.

كذلك هي الحال مع الانجيل. كثيرون ينظرون اليه ويقولون: انه جميل. ولا يدخلون في صميمه لكي يختبرون جماله الداخلي، فلا يمكنهم استعماله، ولا يمكنهم أن يجدوا فيه لذة أو أن يستفيدوا منه.

لمعرفة منزل لا بد من الدخول اليه واستعمال الغرف التي تؤلفه.

لمعرفة الانجيل لا بد من الدخول أيضاً وزيارة التفاصيل وتنفيذ ما نجده فيه. ويكفينا أن ندخل قليلاً، في البدء، وأن ندرس قليلاً التفاصيل لكي نفهم سرياً جمال هذا المنزل وعظمته وكماله، فنصيح: هذا، بالحقيقة، منزل الحكمة!

في دراسة يسوع المسيح نجد النور الحقيقي، ونجد قانون حياتنا جاهز ومهيئاً و "ممضوغاً" ... الا انه لا بد من التفتيش عنه والعثور عليه. في الحقل الكبير نباتات كثيرة ومتنوعة، فان احتجت الى بنفسجات يجب أن تفتش عنها، وكذلك ان احتجت الى زهرة نادرة الوجود.

لنفتش اذن في الانجيل فنجد كل أنواع النباتات والزهور التي نحن بحاجة اليها لتعطينا الحياة وتنميها فينا.

م 12 ت ح 516- 517

❖ قد يخاف البعض من الالحاح الشديد الذي يصرح به الاب شفريه في تمحيص دقائق للتشرب منها: أفلا يؤدي اخلاص "دقيق لحرفية النص الى تطبيق مادي وضيّق للإنجيل؟ بالواقع، يرى الاب شفريه انه لا تجوز دراسة الانجيل الا مصحوبة بالصلاة والتأمل الذي يضعنا في أنوا الروح القدس، واذ يتكلم على الانتباه الروحي لدقائق الانجيل فانه لا يعني به بتاتاً التطبيق المادي الضيق للإنجيل. ولنا، في الرسالة التالية، شواهد على هذا الانتباه الروحي الدقيق.

الى شخص مجهول 18 آذار

ابنتي العزيزة جداً.

قرأت بسرور رسالتيك لأني رأيت أن يسوع معك وان القربان الاقدس يأتي في نفسك المسكينة بثمار صالحة. ليتبارك الرب وليتمجد اسمه على ما فينا من صلاح!

اليك أجوبة قصيرة يمكنني أن أعطيك اياها على الاسئلة التي طرحتها عليّ:

بالنسبة الى صحتي: انها جيدة والحمد لله، علد صوتي اليَّ، واني لأستثقل الوقت وأنا بعيد عن عالمي الصغير. اني أخاف أن يبعدني الكسل عن قطيعي وأن يحاسبني الله على ذلك.

تكلميني على الصلاة: اننا نستعمل الصلاة العلنية لنذهب الى الله، الكلمات درجات سلم تُصعدنا اليه. ولكننا عندما نحصل على الله لا نحتاج بعد الى سلم. اذن حينما تشعرين بنفسك قد ارتفعت نحو الله وانك، بالتأمل، تتمتعين به، وأن روحك قد عرفت الله وأحبته، اتركي الكلمات لتصغي اليه هو معلمك، وقفي، كتلميذة أمام معلمتها، لتسمعي للأمثولة وتضعيها موضع العمل. حينئذ تعمل نعمة الله فينا وتكشف لنا عن أسراره وتقوّينا بمسحة مقدسة من لدنه. ثابري على هذه الصلاة.

أما بالنسبة الى الرؤى الداخلية، والالهامات الخصوصية، فكوني حذرة وتواضعي دوماً أمام الله وأنت مقتنعة من حقارتك وشقائك. قدّمي نفسك لله واسأليه أن يستخدم "بقاياك" ان شاء. وقولي له انك لست بنافعة لشيء وان الطبيعة فيك لم تمت بعد فمتى، تُرى، سألمح فيك ذاك الموت، وذاك الهدوء وذاك السلام الذي يخلق النفوس القوية؟ ... لا يضطربنَّ قلبك من شيء. اعرفي كيف تقبلين اذن كل ما يحدث لك بروح الله الذي يجعلنا لا نتزعزع، لنتركه يقود نفوسنا دوماً.

سنقيم غداً عيد القديس يوسف. انظري كم هو هادئ في كل ما يحدث له: في الناصرة وفي بيت لحم وفي القديس وفي مصر أخيراً، نرى فيه دوماً الخلق ذاته واللطف نفسه والاستسلام عينه والطاعة والفطنة ذاتهما. اطلبي من هذا القديس العظيم، مثال الحياة الداخلية، بعض الفضائل التي مارسها طيلة حياته والتي يجب أن تقود حياتك أنت أيضاً. ما أقدس روح الله! وما أعظمه! وما أسماه على روح الانسان!

ومثالاً على ذلك، ها أنا أقرأ، منذ بضعة أيام، نصوص الآلام في الانجيل. لقد فتشت عمداً في جميع النصوص عساي أجد كلمة لوم صغيرة أو تأنيب للمضطهدين والحكام والجلادين: لم أجد من ذلك كلمة، بل ولا تلميحاً عابراً. كان بإمكان الانجيلي أن يقول مثلاً: بيلاطس الضعيف، أو جلدوه بوحشية ... كلا، لا شيء من ذلك، بل ولا تلميحاً لتأنيب أو لوم ينمّ عن الألم تجاه مَن عذّب يسوع. ليس الا الروح القدس الذي يمكنه أن يفعل ذلك أو أن يلهم نصوصاً كهذه. كم تتعلم من هذه النصوص أن نموت كليًّا عن أنفسنا وعن جسدنا وعن فكرنا وعن قلبنا، وعن ذواتنا، كي نكون أدوات طيعة ولينة بين يدي الروح.

أما بالنسبة الى الاماتات الجسدية فان هي الا وسائل للقداسة أو عقاب لنا. فعلينا أن نستعملها لهذه الغاية: لنكفر عن خطايانا السالفة والحاضرة، ولنتجرد عن الأشياء الخارجية التي قد تبعدنا عن الله. يمكننا أن نأخذ بها ان كانت لا تشيء الى صحتنا، ويجب أيضاً أن نخضعها للسلطة.

وبالنسبة لمسلكك معي فيجب أن تكوني بسيطة وصريحة ومتواضعة. أظن انه عليك أن تقبلي بطيبة خاطر وبروح توبة ما يأتيك من تجارب بشأني. يسمح بها الله لكي يجعلك تكفّرين وتموتين عن ذاتك. هنا خصوصاً يجب أن تحاولي أن تموتي، وهنا مقياس كمالك. لا تصدّقي الشيطان، ثقي بالله. وأكرر لك: اقبلي كل ما يأتيك بشأني كوسيلة يستخدمها الله لتقديسك ولكمالك، وابقي في الاستسلام الكامل لله في ما يخص مستقبلك. وتذكري قول الروح القدس: كونوا أمناء في الأشياء الصغيرة وأنا أقيمكم على الكبيرة. فقبل أن تقومي بأعمال كبيرة ابدأي بالصغيرة.

والآن لكي تصلي الى الكمال على الأرض، لا تحاولي الحصول عليه، لأن ذلك لن يتم الا في السماء. اجتهدي في اكتسابه، ولكن لا تضطربي ان لم تحوزي عليه. قال القديس برنار انه يخطئ كل يوم واننا سنخطئ حتى نهاية أيامنا. سيبقى دوماً فينا قليل من كبرياء، وقليل من حساسية زائدة، وقليل من الشقاء. وهذا ما يزيدنا قيمة في عين الله.

ان نقائصنا وعيوبنا تحثّنا على أفعال المحبة والتواضع والصبر واللطف. بإرادتنا الطيبة الصالحة يمكننا المسير نحر الله واننا لمتأكدون من استحواذنا على رضاه ان حاولنا، من كل قلوبنا، أن نرضيه، وان استعملنا وسائل النجاح.

ثقي اذن، وتشجعي .. اذهبي .. سيري في طريق الحب الالهي .. تعلمي الحديث عن الله وعن أسراره كي يمكنك التحدث عنه ان دعاك الله أن تفيدي الآخرين الذين سيرسلهم اليك.

سأعود قريباً، ربما السبت، الى البرادو. اني لا أطلب الا شيئاً واحداً ألا وهو أن أعرف يسوع المسيح مخلصي، وأن أتقن التحدث عنه مع كل من يرسلهم اليّ.

ليحرقْنا حب يسوع وليملأ قلوبنا ... ليت ارواحنا لا تجد السعادة ال في التحدث عنه وعن اسراره. الى اللقاء. وليباركك الرب انطوان شفريه

م 13

❖ قال لنا الاب شفريه انه يكفي أن ندرس قليلاً تفاصيل الانجيل لكي نفهم حالاً كم أن هذا المنزل جميل وكبير وكامل وانه بالحقيقة منزل الحكمة.

وها نحن الآن نورد نصاً يعبّر عن هذا الاختبار الروحي .. انه يتوسع فيه وكأنه انشودة للثالوث الاقدس. اننا نلتذّ بالحكمة الالهية في أحد تفاصيل الانجيل لأننا وجدنا فيها عمل الثالوث. غير ان هذا التأمل ليس هروباً بل هو نقطة انطلاق جديد. فان الرسول يشعر برغبة حارة للعمل مع الثالوث في نشر البشري السعيد عندما يسيطر هذا الثالوث على وجدانه.

تهيئة سر التجسد

"ان تجسّد الكلمة هو في الذروة من أعمال الله، بل هو أعظم عمل على الاطلاق، ولقد أصبح هذا العمل محوراً لجميع أفكار الله وأعماله. كل شيء يتجه نحو هذا المركز الوحيد الذي هو الكلمة المتجسد. وان لكل ما جرى قبل التجسد صلة بهذا الحدث الاسمى. كل ما حدث قبله لم يكن الا تمهيداً لاكتماله: الممالك والامبراطوريات والشعوب ... لم تمر على الأرض الا لتمهّد لمجيئه. وليست الشعوب الا أدوات الله تتشوق لملكوته وتمهّ> لسيادته. كان كل ذلك في فكر الله. ولا قيمة لكل الباقي فالكلمة هو الكل. "به كان كل شيء" ومن أجله.

لقد قرر الآب التجسد شفقة بالبشر، خلائقه. فقدّم الابنُ نفسَه لتتميم ارادة أبيه التي هي ارادته الخاصة أيضاً. أما الروح القدس فهو العامل الذي يمهّد لمجيئه: خارجياً، بالإمبراطوريات والدول والشعوب، وداخلياً في النفوس، لكي يكون لمجيئه بعض الاستعداد والكرامة.

وعمل الروح القدس المنبثق من الآب بالابن، وهو الحب المتبادل بينهما، لن يكون اا في أن يجمع الشخصين الالهيين اذ انه، هو نفسه، ذاك الحب المتشخص في اقنوم ثالث الهي. فعمل الروح القدس، تلك الصلة بين أشخاص الثالوث، هو أن يجمع اولاً أشخاص الثالوث وثانياً يجمع بالله خلائقه.

انه يمهّد لمجيء يسوع المسيح على الأرض؛ المسيح، أي الكلمة الالهي وصورة الآب، الذي هو وأبوه واحد. وهكذا فانه يُدخلنا في الثالوث الاقدس، بواسطة الابن الذي هو وايانا واحد، بعد أن يصوره فينا الروح القدس.

والصلاة التي تنعبد بها للروح القدس انما غايتها اولاً أن تطبع فينا صورة يسوع على الأرض، ثم أن تحضّر مجيئه، وأن تهيئ العالم والشعوب والحوادث والخلائق لاستقبال الكلمة الالهي.

انظروا اذن الى عمل الروح القدس، ما أعظمه! ولكن كم من العثرات والجهاد والمعارك ... منذ بدء العالم حتى مجيئه ...

ما كان الكلمة يستطيع أن يأتي الى العالم في بدء الخليقة. كان لا بد للعالم من أن يعمر بالسكان، وأن يكون جديراً باستقباله، وأن يشعر بالحاجة اليه.

العالم، بالنسبة الى الله شبيه بالولد. انه صغير، في الأقماط، له زمن الصبا وزمن المراهقة وزمن الرجولة، كما له أيضاً قوته وانحلاله وشيخوخته.

لا يستطيع الولد أن يفهم الأمور الرفيعة والأخلاق العالية، لا بد لنا من أن ننتظر سن الرشد كي نعطي الامثولة المناسبة لسنه.

هكذا صنع الروح القدس مع العالم لكي يعلّمه ويهيّئه لمجيء الكلمة. لقد كان له الناموس الطبيعي في صباه، ثم الناموس المكتوب في سن الرشد، ناموس القوة والنشاط، كما يحتاج اليهما كل شاب، ثم ناموس النعمة والمحبة في عمر لاحق.

وان الروح القدس، كالأم، يعتني بتربية العالم ويهيّئه ويحفظه ويعطيه ما هو بحاجة اليه ليغذيه ويعلّمه ويحفظه، ثم يمنحه في الأوقات الملائمة ما هو بحاجة اليه لخلاصه وكماله وتتميم غايات الخالق.

فالروح القدس اعتنى اذن بطفولة العالم وقاده في شبابه المندفع وهيَّأه أخيراً لأن يستقبل المسيح المخلص والنور الحقيقي.

وفي خضم كل الصعوبات والعثرات يسيّر الروح القدس العالم نحو الغاية الوحيدة، نقطة المركز الكبيرة لجميع الحوادث وجميع الامور الأرضية الا وهو يسوع.

لنرَ كيف يعمل الروح القدس لهذا الحدث العظيم وكيف يلد يسوع المسيح في الضمائر، وكيف يعرّفه للعالم، ثم كيف يجعله محبوباً ومشتهى.

روح الرب واحد، انه في كل مكان، وهو على الارض كما هو في الثالوث الاقدس. عمله هو هو دائماً: اتحاد النفوس بالله على صورة اتحاد اشخاص الثالوث لكي يجعل منهم الهاً واحداً.

والروح القدس، على الأرض، يعمل في النفوس ويحملها الى الله، وينعشها ويقدسها ويرفعها ويعطيها الرغبات نفسها، من حب وايمان، بقدر ما تستطيع أن تتقبلها منه، وذلك لكي يوحّدها بالله بصورة أعمق، بواسطته هو وبواسطة الابن الالهي.

كذلك على الأرض عندما يجد نفوساً جديرو بأن تدخل في تلك الوحدة الالهية، فانه يمتلكها لكي يرفعها حتى الله نفسه.

وهو يسرّ جداً عندما يجد نفوساً يمكنه أن يلد فيها الكلمة، وأن يصوّره فيها بطريقة من الطرق، إما بواسطة الأفكار أو بواسطة الأعمال. فيقوم حينئذ بعمله هذا بفرح وسعادة فيُمجَّد عندئذ الآب والابن.

وعلى هذا الأساس نراه يصوّر يسوع المسيح في آباء العهد القديم، وفي الطقوس الدينية المقدسة. هو الذي ألهم موسى بأن يضحّي الحمل ومحرقات الشريعة الموسوية المتنوعة، هو الذي كلّم الأنبياء وبشرهم بمجيء المسيح وجعلهم ينتظرون بصبر، مع الشعب، حتى تتهيأ المسكونة لاستقباله.

هذا دور الروح القدس على الأرض، ألا وهو أن يصوّر المسيح في كل مكان، وأن يعرّفه وأن يُظهره، وأن يبشر به الناس وان يحمل الجميع على حبه. وهو يستغل كل مناسبة تسنح له لكي يتحدث الى الناس عن يسوع المسيح بفم الأنبياء أو بفم القديسين كداود وارميا وأشعيا. وهو سعيد بأن يجد أناساً أهلاً للإصغاء اليه ولسماع كلمته.

هذا الروح عينه قاد ابراهيم الى جبل صهيون لكي يضحّي بابنه فيكون بذلك رمزاً للمسيح المخلص. هذا الروح أيضاً ألهم القديسين من الشعب لكي يرفعوا الى الله صلوات عديدة لها صلات مع المسيح المزمع أن يأتي. في العهد القديم كما في العهد الجديد يفتش الروح القدس عن نفوس يمكنه أن يخلق فيها يسوع المسيح وأن يصوره فيها، يفتش عن نفوس يستقر فيها لكي يلد المسيحَ في العالم، بواسطة حبها له. م 5 ص 401 – 405

❖ يجب أن تقودنا عبادة الروح القدس الى اسمى درجات القداسة لأن الروح القدس يمنعنا من أن نحدّ طموحنا بتقوى فاترة. ولكن أيضاً يجب أن نحذر مخيلتنا وأن نبقى مستعدين لسماع نداءات روح الله. يجب أن نرغب بشدة في القداسة ولكن لنتحاشَ تحديدها مسبَّقاً: يكف أن يكون لنا مثال واحد فقط وهو يسوع المسيح.

"من له روح الرب لا يقول شيئاً من عنده ولا يعمل عملاً من ذاته، كل ما يقوله ويفعله يستند الى كلمة من كلام يسوع المسيح، أو الى عمل من أعماله اتخذه كأساس لحياته.

ان يسوع المسيح هو حياته ومبدأه وغايته.

لستُ بعد أنا حيّاً انما المسيح يحيا فيّ.

انه لا ينقاد بالعلم ولا بالمنطق بل بالإيمان، والروح القدس هو الذي يعمل فيه.

لا يفهم الناس غالباً شخصاً كهذا لأن البشر يجهلون طرق الروح القدس. الروح يهبّ حيث يشاء، اننا نجهل من أين أتى والى أين يمضي، انه يأتي من العلاء.

لذا فان القديسين كانوا يأتون بأعمال رائعة، الا أن الناس لم يفهموهم، بل غالباً ما أصبحوا موضع سخرية البشر وتعبيرهم لأن الانسان الجسدي لا يستوعب ما يصدر عن الله، لا بد له من نور علوي لكي يتقبله.

كان القديسون يستمدون كل أشواقهم وأفكارهم من حب الله اللامتناهي، الله محبة (1 يو 4: 8) ... في المذود وعلى الجلجلة وفي بيت القربان، تلك المشاعل الثلاثة الكبرى التي بنورها يجب أن يهتدي كل تلميذ حقيقي ليسوع المسيح.

يا الهي، أعطني روحك القدوس. هذه هي الصلاة التي يجب أن نكررها باستمرار وفي كل لحظة. روح الله ... هذا كل شيء ... فان كنا نحيا منه نحصل على كل ما نحن بحاجة اليه، على كل ثروات السماء والأرض.

ولكن يجب أن نطلب هذا الروح ونحن مصممون على قبوله، ومصممون على أن نعمل كل ما باستطاعتنا لكي نحوز عليه، وعاقدون النية على أن نقوم بكل التضحيات المفروضة لكي نقبله ونحصل عليه، والا فإننا لا نستطيع أن نقبله ولا يستطيع الله أن يمنحنا اياه.

ليس روح الله في قانون وضعي، ولا في شكل معين، ولا في الخارج، لا في الثياب ولا في الانظمة. انه فينا عندما يعطى لنا.

نسمع صوته، الا اننا لا ندرك من أين يأتي ولا الى أين يذهب، يهبّ حيث يشاء. وقد يأتينا في أوقات لا تتناساه فعندئذ نلقاه. هو مستقل عن ارادتنا وعن المكان والزمان. يأتي حين يشاء، ويهبّ حين يريد، فعلينا نحن أن نقبله عندما يأتي. له حرية العمل وهو مستقل عنا الا انع يهبنا نفيه عندما لا نفكر به. هو غائب عن المنطق وعن العلم وعن النظريات وعن القوانين. هو النار الالهية التي تتحرك دوماً، التي

ترتفع الى العلاء بصورة غير منتظمة، يظهر ويختفي كشعلة الحطب. فلنأخذه ولنسرّ به عندما يظهر لنا، ولنحافظ عليه كلما مَنَحَنَا ذاته. م 11 ت ح 511

كَتَبَ الاب شفريه الى الإكليريكيين عام 1877:

"يبقى علينا واجب الصلاة طويلا لكي نستقبل روح الله. آه! لا تكفّوا عن طلب هبة هذا الروح لي أنا. ان ذلك لمهم جداً بالنسبة اليّ. ان حصلنا على روح الله حصلنا على كل شيء. يا لسعادتي ان استطعتُ أن أحصل عليه من أجلكم، اذ انني انهي حينئذ رسالتي. لنطلبه بإلحاح، بعضنا من أجل البعض الآخر. لا تقترنّ عن صلاة "تعالَ ايها الروح الخالق" كلنا معاً، كل يوم، ولكي أستطيع أن أبثّه فيكم"

وهذه رسالة من النمط نفسه، الى الإكليريكيين

1872 /1 /24

أولادي الأعزاء

يجب أن نصبح قديسين. اليوم أكثر من أي وقت آخر. يستطيع القديسون وحدهم أن يجددوا العالم وأن يعطوا ثمار توبة لمجده تعالى ولانتصار كنيستنا المقدسة. آه! ما أجمل أعمال القديسين على الأرض. كم كانوا يسرّون الله ويخدمون القريب!

القديسون هم مجد الله على الأرض، هم تعبير حي عن الالوهية، هم فرح الملائكة وسعادة البشر.

القديس انسان متحد بالله، لا يؤلف معه الا شخصاً واحداً يتحدث اليه ويسأله النعم فيحصل على ما يطلب.

هو انسان بيده سلطان الله بأسره. هو انسان يزعزع الكون عندما يكون متحداً اتحاداً وثيقاً بالمعلم، سيد كل المخلوقات.

القديسون أقوى البشر على الأرض. انهم يجذبون كل شيء نحوهم لأنهم حاصلون على محبة الله ونوره وعلى الخصب من قبل الروح القدس. بيدهم خيرات الرب يوزعونها على كل الناس، انهم وكلاء الله على الأرض. فيجب يا أولادي الأعزاء أن تصبحوا قديسين، أن تصيروا انواراً لتقودوا البشر في طريق الصلاح، وأن تصبحوا ناراً لتدفئوا الباردين "والمجلّدين!"، صوراً حية عن الله لتكونوا مثالاً لجميع المسيحيين. آه! يا أولادي الأعزاء، حاولوا أن تصبحوا قديسين. لن تصلوا الى القداسة فوراً ولكن يجب العمل طويلاً ومنذ بداية الحياة. انه واجب عظيم الاهمية علينا أن تنمه، وهدف سام لينا أن نبلغه. ثم لا بد لنا من الوصول اليه لنكون كهنة صالحين. ان لم يكن الكاهن قديساً فلن يعمل في النفوس الا خيراً يسيراً. وعليكم انتم خصوصاً أن تصبحوا هؤلاء الكهنة القديسين،

وكيف؟ !

يا أبنائي، اطلبوا ذلك كل يوم من القديس الاعظم صاحب القداسة بالذات، يسوع المسيح مثالنا، الذي أصبح قديساً على الأرض كي يعلمنا كيف نصبح نحن ايضاً قديسين. ابدأوا بأن تصبحوا قديسين

صغاراً باتحادكم الوثيق بالله في الصلاة، وبتتميمكم جيداً برنامجكم، وبمحافظتكم جيداُ على اوقات الصمت، وبممارستكم المحبة، تلك الفضيلة التي يتميز بها القديسون.

المحبة نحو المعلمين والرؤساء والاساتذة والخدم ونحو الجميع. مارسوا خصوصاً ذاك اللطف وذاك الحنان اللذين كان يتميز بهما يسوع المسيح. اطيعوا كل الاوامر الصغيرة والكبيرة متذكرين ان معلمنا اطاع حتى الموت والموت على الصليب. إن بدأتم باكراً بتطبيق هذه الامور في حياتكم تسيروا في طريق القداسة الذي يجب أن يكون طريقكم انتم.

فتشجعوا، يا اولادي الأعزاء. ليت كلماتي تصل الى نفوسكم وتولّد في قلوبكم بعض عواطف المحبة الصادقة نحو سيدنا يسوع المسيح ورغبة مقدسة في التشبه به. انطوان شفريه

م 13

❖ من مبادئ الحياة المشتركة، حسب الانجيل، العبادة للروح القدس. لا تؤلف هذه الناحية مشكلة حالما نفكر برسالة الحياة المشتركة في الكنيسة: هذه الحياة ان هي الا تعبير خاص عن وحده الكنيسة وتطلّع نحو الوحدة الكاملة المرتقبة التي ستتم عندما "يصبح الله كلا في الكل".

(1 كو 15: 28)

وفاعل هذه الوحدة هو الروح القدس: اننا قبلنا المعمودية جميعاً في روح واحد لنكون جسداً واحداً، يهوداً كنا أم يونانيين، عبيداً أم أحراراً، واننا ارتوينا من روح **واحد.** (1 كو 12: 13)

سنرى بسهولة في النصوص التالية تطبيق المبدأ السابق على الحياة المشتركة: ضعوا الحياة الداخلية في النفوس فيأتي الخارج دوماً.

"كم نحن بحاجة الى روح الرب في الحياة المشتركة! ان كان روح الرب ضرورياً في الحياة الشخصية الفردية لكي نحصل على الحكمة والمحبة فبالأحرى كثيراً هو ضروري في الحياة المشتركة.

ان الحصول على روح الرب هو الأمر الأهم بالنسبة للفرد كما هو الأهم بالنسبة للجماعة.

ان روح الرب هو الذي يؤلف الوحدة في المنزل، الذي يضع الانسجام بين الافكار وبين القلوب، ويجعل الجميع واحداً. "ليكونوا واحداً" (يو 17: 22) تلك كانت صلاة سيدنا يسوع المسيح الحارة التي كررها مراراً في العشاء الأخير: ليكونوا جميعهم واحداً بروح واحد.

ليست الوحدة الحقيقية في الحجارة ولا في المال ولا في المنازل ولا في الثياب ولا في المساكنة ... كل هذا لا شيء بالحقيقة. كما انها ليست في القاب "أخ" او "أخت" التي تتبادلها ... كل ذلك يفترض الوحدة ولكنه لا يخلقها.

كم هي كاذبة ومضحكة غالباً هذه الألقاب: "أخي" او "أختي" ...

الوحدة الحقيقية هي في اتحاد الافكار والعقول والقلوب، ويسوع المسيح نفسه هو مركزها، بواسطة الروح القدس.

اثبتوا فيَّ وأنا فيكم. لنكن في بعضنا بعضاً، لو صح التعبير؛ وعندما يرى الناس أحدَنا ليروا فينا الآخرين. هذه هي العائلة الحقيقية، والجماعة الحقيقية. الأفكار نفسها، والآراء ذاتها، والهامات يسوع الواحدة* *. م 11 ت ح 231

عندما تصغي نفسان ينيرهما الروح القدس الى كلام الله وتفهمانه تُخلَق فيهما وحدة روحية وثيقة العرى يكون الله مبدأها والمركز فيها. هذه هي الرابطة الدينية الحقة، رابطة النفس والقلب.

هذه المعرفة تخلق اولاً محبة الله ثم محبة من يفكر مثلنا، حسب الرب. وهذه الرابطة الفكرية المؤسسة على الله هي لأوثق عرى من أية رابطة طبيعية اخرى. وعندما نزيد على هذه الرابطة الروحية التطبيق العملي لكلام الله تنشأ حينئذ عائلة روحية حقة، جماعة مسيحية، اساسها الله ورابطتها كلامه وهدفها الممارسات الحياتية الواحدة. وبدون هذا الاتحاد الروحي المؤسس على معرفة يسوع المسيح وكلامه الالهي، وعلى ممارسة الحياة نفسها، لا يمكن أن تنشأ عائلة أو جماعة مسيحية. م 11

❖ تعطينا الرسائل الثلاث لمحة أيضاً عن الحياة المشتركة كما يحلم بها الاب انطوان شفريه.

لقد تمنى كثيراً لنفسه هذه الحياة المشتركة التي كان يعتبرها أداة لا غنى عنها للوصول الى الهدف الذي قرره لنفسه، ألا وهو أن يصبح مسيحاً آخر.

الى الاب غوردون 22/ 1/ 1866

زميلي العزيز

قابلتُ قبل ثلاثة أيام سيادة المطران ده سير والسيد بانيو وكلَّمتهما عن قرارك فلم يرفضاه، انما أجابا انه لا يمكن تنفيذه قبل عيد الثالوث الأقدس بسبب قلة الكهنة والصعوبات التي قد يثيرها نيافته. اذن انهما يعلمان الآن بالقرار ولا يقيمان اية عثرة، لنأمل ولنضع ثقتنا بالله. لنصلِّ معاً؛ واطلبْ لي من الله أن يهديني اليه، لن يبخل الله علينا، دون شك، بهذه النعمة.

كم اود أن آتي اليك لأقوم بزيارتي الصغيرة والصدوقة ولكني أجهل متى ستسنح لي الفرصة.

عندما سنجتمع سوف تعلّمني قليلاً محبة معلمنا الصالح والتشبه به. موضوع تأملاتي المستمر هو هذا: الكاهن مسيح آخر. وعلينا أن نحيا حياة المسيح الذي هو مثالنا: لنكن فقراء مثله كفي المذود، ولنصلَب مثله على الصليب، لأجل خلاص الخطأة، ولنكن مثله ضحية كما هو في سر الإفخارستيا. الكاهن، كالمسيح، رجل متجرد مصلوب، ضحية ... ولكي يأكلنا المؤمن علينا أن نصبح خبزاً لذيذاً مخمراً بالموت عن الذات، في الفقر والألم والموت كمخلصنا ومثالنا؛ ويصبح حينئذ كل ما فينا طعاماً للمؤمنين: أقوالنا ومثلنا وحياتنا كلها ... ونذوب كما تذوب الأم لإطعام بنيا الصغار. تعال، سوف تتأمل معاً في هذه الامور وسنضعها موضع العمل، اني لأشعر بالحاجة الى شخص يعرف المخلص ويحبه.

* سوف نعود الى الحديث عن "عمل الروح القدس" في الفصل الثاني.

آه! كلا! لن نكون لوحدنا من بعد، كما قلت لي في رسالتك، سنكون اثنين ويسوع معلمنا. معه نستطيع أن نفهم كل شيء، وفيه يلتئم كل شيء. انه الرابطة القوية والمتينة التي توحد القلوب الراغبة حقيقة في اتباعه. لنأخذه اذن معنا، وليكن قائدنا ورئيسنا ومثالنا في الفقر والتضحية والمحبة.

لنتحد معاً في هذه الفكرة: الكاهن مسيح آخر. ولنعمل كل ما في وسعنا لنفهمها ونطبقها في الحياة. صلمن أجلي.

زميلك المخلص وأخوك في المسيح يسوع معلمنا

انطوان شفريه م 13

❖ حاول الاب شفريه، بصبر جميل، أن يبث هذه الحياة المشتركة الجميلة بين ابنائه وبناته الا أن ذلك لم يكن دائماً سهلاً.

الى الاخت فيرونيك روما في 16/ 4/ 1877

اختي العزيزة فيرونيك

تسلمت بسرور الاخبار التي أعطيتني اياها بخصوص جمعية راهبات البرادو الصغيرة. ان كنتُ في روما أو في ليون فأنا متحد بكم جميعاً بالفكر دائماً، بل كلما ابتعدت ازداد تفكيري بكم.

تابعي اعطاء دروس التعليم الديني يومي الخميس والاحد. هذه هي رسالتنا. ولن أسرّ الا عندما أرى كل اخوتي واخواتي يعطون جيداً دروس التعليم المسيحي جميعَ الاولاد والمساكين. تلك هي رسالتنا. ان علَّمْنا الآخرين أن يعرفوا الله ويحبوه تتمم واجبنا. آه! كم نحن لا نزال بعيدين عن تلك الرسالة الجميلة التي اودَعَنا اياها الله، بل نحن لا نقوم بها كما يجب. لنجهد اذن في ان تتقن فن تعليم الناس معرفة الله ومحبته. وفي هذه الغاية لنجهد، بالصلاة والدروس، في أن نعرف الله ونحبه.

سنجتهد هنا مع الشمامسة أن تتعلم كيف تتقن تلقين الدين المسيحي وتلاوة الوردية وفرض درب الصليب والذبيحة الالهية. ان تعلمنا ذلك جيداً نستطيع أن نأتي بالخير الكبير. كم نحن بحاجة الى الصلاة! واني لأشعر بهذه الحاجة أكثر من أي وقت مضى. لذا فلا تخافي من أن تصلي من أجلنا ومن أجلي خاصة. لم آتِ الى روما لأفتش عن موافقة او تشجيع ولا لأسن قوانين، انما جئت الى هنا لكي أضع، قدر المستطاع، روح يسوع المسيح في قلوبنا. عندما نحصل على روح الله يكون كل شيء على ما يرام، وعندئذ لن تعوزنا الموافقات. وان لم نحصل عليها فأية فائدة من الموافقات؟ ... عبثاً نحصل عليها ..انها لن تفيدنا الا لعارنا وللقضاء علينا. لنسأل اذن قبل كل شيء روح الله وليهبنا الروح القدس محبته وتواضعه خاصة، لطفه واقدامه، والامور تسير حينئذ على ما يرام. ولكن من دون هذه الفضائل لن نكون شيئاً ولن نفيد شيئاً البتة. أي نعم! لنطلب روح الله دائماً ابداً ... ولا نقترنَّ عن طلبه. تلك هي التوصية التي اتركها لكم ولكنّ جميعاً: لنحاول الحصول على روح الله وكل شيء يسير على ما يرام.

ما مصدر شقائنا الكبير وحساسيتنا الزائدة وغيرتنا وخبثنا واهمالنا؟ ... ما ذلك الا لأن روح الله ليس فينا. عندما يحل روح الله معه الوئام والوحدة والمحبة والنشاط والتجرد عن الذات. اطلبي روح الله لنفسك ولتطلبه جميع الاخوات لجمعيتنا. اتلي كل يوم بإيمان وتواضع صلاة الروح القدس لكي يحل فينا روح الله.

اهدي تحياتي الى كل الراهبات المسنَّات ولينمين في الاخلاص والصلاة والمحبة والمثل الصالح. لتتم كل واحدة واجباتها على أكمل وجه، ولتعطي الصلاة أهميتها، وليكن بينكن جميعاً الوحدة والمحبة والسكون والنظام. لا تكنَّ "اخوات" بالاسم فقط، بل أيضاً بممارسة الفضائل المتينة.

اني اوصي الراهبات الحديثات السن بالصلاة والسكون والتواضع والخضوع للراهبات القديمات وخاصة بالنسبة لمسؤولاتهن، وليذكرن غالباً دعوتنا الجميلة التي هي أن نعلّم الآخرين محبة الله ومعرفته. ولهذا السبب يجب أن يكون قلبنا وفكرنا متحدين بسيدنا يسوع المسيح ولنتذكرنّ جميعاً أن من لا يتحد به لا يمكنه أن يأتي بعمل صالح: "بدوني لا تستطيعون أن تعملوا عملاً صالحاً". فان كنا نريد أن نأتي بالأعمال الصالحة لا بد لنا من أن نبقى متحدين بمعلمنا يسوع المسيح.

أسألُ الاخت فيرونيك أن تعتني جيداً بجميع الاخوات، جسماً ونفساً. وعندما يحدث خلل ما لتُلفِت الانتباه اليه لأنه لا بد من المراجعة، فان اهملناها تتعاظم العيوب ويدبّ الفساد الى حقل رب العائلة.

اعترفن بتواضع، كل مساء، بعضكن لبعض بأخطائكن وراجعن بعضكن بعضاً. ولتحسب كل راهبة نفسها سعيدة ان تُصلَح أخطاؤها لكي تنال حظوة لدى الرب فتصبح أكثر فائدة للأخرين.

سمعت بسرور ان مرضاك يتماثلون الى العافية.

اني أصلي من أجلكن جميعاً كي يحفظ الرب لكنّ صحة النفس والجسد.

أما بالنسبة اليّ، فان صحتي تتحسن، والحمدلله. فاني غير "مضطَهَد" من الصباح الى المساء، كما في البرادو، ثم ان حياتنا منتظمة أكثر. كم اودّ أن أختزن صحة في روما، ان كانت تلك ارادة الرب، لأعود اليكم معافى فأتابع القاء دروس التعليم الديني والفرائض الدينية الضرورية لنصبح كلنا معاً تلاميذ حقيقيين ليسوع المسيح.

تحيتي الى الأخت تريز. اني أصلي الى الله أن يعيد اليها الصحة لتصبح ممرضة البرادو الماهرة. تحيتي الى الاخت كلير وآمل أن تعتني جيداً بفتياتنا الصغيرات لكي تقيم لهن حفلة القربانة الاولى باستعداد جيد. تحيتي الى الاخت دومينيك ولتصبر، رغم أعمالها، ولتعطِ كل واحد ما يليق به. تحيتي الى الاختين انطوانيت وفرنسواز. لتتعلما ضبط النفس في أعمالهما الصعبة ولتحافظ على اللطف "وطول البال". تحيتي الة الاخت اليصابات وأتمنى لها الشجاعة والتواضع وهي تصعد السلم. تحيتي الى الاخت اياسنت ولتجد في القربان الاقدس الذي تزوره غالباً محبة الله والقريب. وتحيتي الى الاخت اغنيس، آمل لها الصمت وقلة الفضول وهدوء النفس. أما الاخت لويز فلا تكن مغرورة بنفسها. والاخت كبريل لتثق بالله ولتتشجع ولتتقوَّ

في محبة المسيح، تحياتي لوالدتها واخوتها. أما الاخت ستانيسلاس فلتتحرك قليلاً لتنبذ المرض. وأتمنى للأخت ماري برنار الصحة والتواضع والخضوع لمشيئة الله في كل شيء. وأقول للأخت ماري تريز أن تتجرد عن عائلتها وعن العالم ولتكن فيها روح الصلاة. وأتمنى أخيراً للآنسة كلودين الصبر في المرض، يمكننا استحقاق النعم بالألم.

ليباركنَّ جميعاً معلمنا الصالح.

اني أصلي من أجلكم، صلّين من أجلي.

انطوان شفريه

م 13

❖ اراد الاب شفريه أن يجعل من جماعته عائلة حقيقية وأظهر نفسه بالحقيقة صديقاً للجميع وأباً لهم. كما طلب ذلك من كل رئيس.

الى الاب دورِه فيشي، أول تموز 1878

أخي العزيز وصديقي

أشكرك على رسالتك العذبة. ان كان "الاخوة الاشرار" قد منعوك عن الكتابة سابقاً فقد عوَّضت عن ذلك بكتابة رسالة طويلة. ابقَ دائماً فرحاً مبتسماً، فهه صفة خادم صالح لله. فصل الصيف يتقدم واني مشتاق أن أعود اليكم، أنتم عائلتي الحقيقية. الوقت يتباطأ عليَّ وأنا بعيد عن أولادي وقطيعي الصغير. فسأعود اذن اليكم أقوى قليلاً من ذي قبل، فان صحتي تتحسن، والحمدلله، ولكن ليس تماماً بعد بما اني لا أستطيع أن أهضم كل ما آكله، وعلى أن أختار مأكلي ... الحمد لله على كل حال فهناك تقدم" ملموس. سأعود يوم الاثنين مساء في الدقيقة الثالثة والعشرين. سأنطلق من فيشي بقطار التاسعة والنصف ثم آخذ قطار باريس في سان جرمان ده فوسه. صحة الاخت انطوانيت أحسن من قبل. وكذلك والدتي. أما الآنسة جيني فهي لا تزال على ما كانت عليه. أخيراً، ليتمجد لسم الرب، صحة الجسد لا بأس بها. ليت صحة النفس مثلها لأن في النفس الحياة الحقة.

فبكل سرور سنرى من جديد البرادو الوضيع وخصوصاً الذين يسكنونه.

أرجو أن تقول للسيد سوشه أن يأتي الى المحطة بسيارته الصغيرة ليأخذ أمتعتنا. أرجو أن تخبره ذلك قبل عدة أيام لئلا يصل غداة وصولنا. انه لرجل طيب القلب وقد يصل الى السماء قبلنا، وربما يسير في طريق الحياة الروحية أسرع من سيره في الطريق الزمني.

لديَّ رسائل عديدة على الطاولة، عشرون على الأقل، قل لهؤلاء القلوب الطيبة اني سأجاوبهم شفهياً الاسبوع القادم.

شكراً للصديق بروش العزيز على رسالته التي أعطاني فيها تفاصيل عديدة عن صفه وعن الأشخاص الآخرين الذين يهمني أمرهم.

قدّم احترامي للأب جايه، وأظن انه قد تعزى عن فقدان تلك البقرة الحلوب التي كانت تدر علينا حليباً طيباً. علينا أن نشكر الله على كل نعمه وخصوصاً على الحيوانات التي أعطانا ليساعدنا في احتياجاتنا ويغذينا.

سوف أجيب العزيز فاريسيه على النقاط العديدة التي أثارها في رسالته الأخيرة. احترامي الى الاب دوتيل، ومحبتي الى الاب جاكيه.

تحياتي الى الجميع على أمل أن أستطيع تقبيلكم بأخوّة، ونعمل معاً في سبل توبتنا وتقديسنا. اهدِ سلامي الى جميع الاخوات والى أبنائنا.

صلِّ من أجلنا أو، بالأحرى، شكراً على صلواتك من أجلنا.

أخوك المخلص في المسيح يسوع

انطوان شفريه

13 م

III ملخص القاب سيدنا يسوع المسح

يسوع المسيح هو الكلمة الازلي الابدي.

هذا الكلمة الالهي الذي كان في البدء لدى الله، المولود من الآب، هو خالد كأبيه واله أيضاً مثله.

به خُلقت كل الكائنات وبغيره لم يُخلق شيء.

فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس.

جاء أرضنا لينير العالم بنوره الالهي. انه النور الحقيقي. لأنه الشمس الآتية من العلاء، بهاء النور الأزلي وضياء الآب.

صورة طبيعته اللامتناهية، صورة الله غير المنظور الحكمة الخالدة.

جمال السماء اللامحدود وقد ظهر على الأرض.

انه المرآة التي يتأمل فيها الله ذاته ويجد نفسه فيها كاملاً

هو هذا النور الالهي الذي يفتح عيوننا على النور الحقيقي لكي نعرف الله ونحبه.

أعطي لنا لكي يكون حكمتنا وعدلنا، برّنا وفداءنا هو ملكنا ومعلمنا ورئيسنا ومثالنا.

انه الطريق والحق والحياة.

هو المبدأ وخالق كل شيء.

انه الأساس الذي يجب أن نبني عليه.

انه الجذور التي نأخذ منها النسغ المحيي.

هو المركز الي نوجّه نحوه كل حياتنا.

انه النهاية التي اليها تنتهي كل الأمور.

وهو أخيراً القيامة والحياة.

IV التعلق بيسوع المسيح

❖ ان المعرفة تولّد التعلق، والتعلّق بالشيء يولّد الحب. فمعرفتنا ليسوع المسيح تجعلنا تتعلق به ونقتدي بفضائله وبحياته. وهذا الاقتداء هو وليد الحب أيضاً، لأن المحب يريد أبداً التشبه بالحبيب.

وان الثمرة الأولى من معرفة يسوع المسيح هي داخلية، ألا وهي التصميم على التعلق به لإتّباعه.

ان الصفحات التالية مطبوعة بحب من يتعشق يسوع المسيح. وكلمة "كل" أو "كل شيء" تتكرر باستمرار. ومقابل هذا "الكل" الذي هو "الكنز" المذكور في الانجيل فـ "الباقي" لا شيء. وعندما يأتي ذكر المسيح فان تعابير الاب شفريه تأخذ معناها المطلق. عدد كبير من هذه التعابير ورد في رسائله. اليك بعضها:

"من دون المحبة: العدم، ومن ثَمّ فكل شيء مستحيل. م 13 و 50

"صلوا لكي أعمل كل الخير الذي يطلبه الرب وبل طريقة التي يريدها يسوع، وخصوصاً لئلا أضع في العمل شيئاً من ذاتي، بل ليكن الكل منه فقط، كي يكون هو وحده ممجداً ومحبوباً منه ومن الجميع. م 13 و 50

... الاهمّ الاهمّ هو أن يوجد في الرعايا كهنة صالحون. لأن الكاهن الصالح يجلب معه كل التغيرات اللازمة، كل الاهتداءات، وكل ما تحتاج اليه النفوس. تعلقوا بهذه الغاية الرئيسة كي يكون لنا زملاء صالحون، كهنة فقراء حسب الرب، وهكذا سوف تحصلون على كل ما يلزمكم، الباقي يعتبر كالعدم. م 13 و 50

عندما يسيطر الايمان والحب على قلب من القلوب يصبح الانسان قادراً على كل شيء.

م 13 و 50

الانسان الذي لم يتألم من شيء، ولم يتحمل شيئاً، لا يعرف شيئاً، ولا يصلح لشيء.

م 13 و 50

❖ بيد اننا نخطأ ان ظننَّا أن الاب شفريه اذ لا يعتبر أبداً هذا الـ "لا شيء" يدعونا الى اهماله. انما يعتبر الامور الطبيعية كلا شيء أمام الحقائق الروحية لأنهما من مستويين مختلفين: الله هو الكل، ومقابله ودونه، الباقي عدم. ثم لا ننس أن الاب شفريه كان يعتبر نفسه في عداد الـ "لا شيء"، حسب تعليم القديس بولس: ان ظنّ احد انه شيء ولم يكن بشيء فقد خدع نفسه. (غلا 6: 3) لذا يجب علينا أن نطلب النعمة كي نفعل مثله، اذا شئنا أن نفهم جيداً كيف أن يسوع المسيح هو "الكل" وأن "الباقي" هو "لا شيء" بدونه.

الى الآنسة ده مارغوري لانتينه، حزيران 1876

ابنتي العزيزة جداً.

اني أفطر دائماً بنفسك المسكينة وأسأل الله من أجلك، كل يوم، نعمة حياة وميتة صالحتين.

لو فهمت قيمة عذاباتك لما رميت بها كما تفعلين، ولاستفدت منها كثيراً ليوم لقائل مع الرب. عندما سيبزغ فجر اليوم العظيم سترين النور وتفهمين مسلك الرب معك وجميع مخططاته بشأنط وشأن المخلوقات بأسرها. ان الله كامل العدل والصلاح وكل ما يجري لنا لا يأتينا الا لخيرنا الاعظم، ويجب أن يؤول لسعادتنا.

اني سهيد أن أعرف انك ترين من حين الى آخر الاب وامي الفاضل. أحب رسائله اليك. ان له نفساً سامية وقريبة جداً من الله. انظري كم تألم في حياته، وكم هو جريء، سيعلمك أن تعلمي ما فعله هو نفسه وسيضعك في الصراط المستقيم.

تقولين اني لا أثق باستمرارك. آه! كلا! أنا أصدقك واني لواثق انك لو تأخذين بالوسائل التي يمنحنا الرب كالصلاة والقربان المقدس لتابعت الجهاد، بعون الله. ثقي اذن. وسترين قريباً وجه الله في السماء.

تسأليني ما اذا كنت وجدت الحكمة؟ ! ...

عندما يكون فينا يسوع المسيح نمتلك الحكمة، ومن عرف يسوع المسيح عرف الحكمة. لقد وجدتها قليلاً في دراسة أقوال سيدنا يسوع المسيح، غير أن تلك الحكمة التي وقعت من فم المعلم الالهي والتي جمعها لنا الرسل هي على درجة من الجمال والرفعة والسمو بحيث يتحتم علينا معها أن نكتفي بمشاهدتها دون أن نستطيع وضعها كلياً موضع العمل. لو استطعنا ذلك لعشنا كالملائكة ولكان الملكوت السماوي قد حلّ على الارض. ولكن علينا أن نفكر، ويا للأسف، انه ما من انسان تقرياً وصل الى هذه الغاية الرائعة والسامية، أرى الحكمة قليلاً وكم أتمنى أن أحصل عليها وأن أطبّقها، غير أن ذلك يتطلب الجرأة والاندفاع والحب الكبير. يلزمنا أجنحة قوية جداً لنطير عالياً ولا نملّ.

الحكمة قائمة في التجرد عن الذات بأسرها، عن كل خليقة وعن كل الأشياء الأرضية. ان حصلنا على هذا التجرد الكامل يمكننا الارتقاء مع يسوع في أجواء حبه العليا. فلا يبقى حينئذ شيء من الذات، ولا شيء أرضي. فلا شيء يحزنك ولا شيء يحطمك، ولا يزعجك شيء، لأن كل ما هو أرضي قد تلاشى ولأننا نحيا مع يسوع المسيح. فنتبعه في كل مكان، في أجواء عليا من المحبة والنشاط والالم والموت.

ما أجمل ذاك الانسان، ذاك الكاهن الذي اتّب هذا الطريق. وعندما يستمر عيها مع يسوع المسيح كم يمكنه أن يأتي بمآثر. وكم يصبح كبيراً في وسط هذا العالم الصغير والفقير والحقير. نعم! القديس بولس كان حاصلاً على الحكمة. ما أجمل رسائله! وما أغناها بالحكمة! ...

اطلبي لي دوماً الحكمة من الله لاني بحاجة قصوى اليها. وليس فقط ان اراها بل خصوصاً أن أحياها. هنا تكمن الصعوبة.

الى اللقاء، ابنتي العزيزة. ليعطك معلمنا الصالح الحكمة ولو قليلاً، وليجعلك تنمين بالحكمة وسط عائلتك، وليساعدك على أن تعطي الآخرين القليل الذي عندك.

قدّمي احترامي لأخيك افرار.

أنا لك كلياً في المسيح يسوع.

انطوان شفريه

م 12 و 50

معرفة يسوع المسيح هي كل شيء.

اساس كل شيء معرفة الله وسيدنا يسوع المسيح.

"الحياة الابدية هي أن يعرفوك انت الاله الحق وحدك، ويعرفوا الذي أرسلته يسوع المسيح"

(يو 17: 3)

يسوع المسيح هو الكلمة الازلي، هو كلام الآب الحي على الأرض، هو علمه وحكمته، فيه تكمن كل كنوز العلم والحكمة.

لذلك فان القديس بولي لا يتمنى شيئاً آخر لتلاميذه الا أن يعرفوا يسوع المسيح: "لهذا أجثوا على ركبتيّ أمام الله الآب، فمنه كل أبوّة في السماء والأرض، وأسأله أن يؤيدكم بروحه على مقدار سعة مجده ليقوى فيكم الانسان الباطن، وأن يقيم المسيح في قلوبكم بالإيمان حتى اذا تأصلتم في المحبة وأسِّستم عليها أمكنكم أن تدركوا، وجميع القديسين، ما هو العرض والطول والعلو والعمق، وتعرفوا محبة المسيح التي تفوق كل معرفة، وتتسعوا لكل ما عند الله من سعة. ذلك الذي يستطيع أن يبلغ بنا، بقوته العاملة فينا، مبلغاً أبعد مما نأمله أو تتصوره له المجد في الكنيسة وفي المسيح يسوع على مدى جميع الاجيال والدهور. آمين"

(افسس 3: 14 – 21)

علينا الا نفضّل أي دراسة أو علم على هذه المعرفة. انها الاكثر ضرورة، والاكثر فائدة، والاكثر أهمية، خصوصاً بالنسبة الى من يريد أن يصير كاهناً، تلميذاً ليسوع المسيح. لأن هذه المعرفة وحدها تصنع الكهنة، أما العلوم الأخرى فليست الا ثانوية وتأتي حسب الظروف.

من وجد يسوع المسيح وجد الكنز الأثمن.

"الباقي" ... لا شيء. السماء والأرض تزولان أما كلامي فلا يزول. "من وجدني وجد الحياة"

(امثال 8: 35)

لقد عثر على الحكمة والنور، على الحياة والسلام، على الفرح والسعادة، على الأرض وفي السماء، على الاساس المتين الذي يمكنه أن يبني فوقه ... لقد عثر أيضاً على الصفح والنعمة ... لقد وجد كل شيء.

أثمن من الذهب والابريز.

من آمن بي له الحياة الأبدية. انه لن يجوع ولن يعطش، لن يموت أبداً، وان مات فسيحيا ...

انا الطريق والحق والحياة.

تعالوا اليَّ يا جميع المتعبين وأنا أريحكم. وكان يسوع يقول لليهود: انكم لا تريدون أن تأتوا اليَّ لتكون لكم الحياة.

أتيت لتكون لهم الحياة ولتفيض فيهم هذه الحياة. م11

ان معرفة يسوع المسيح تولّد الحب حتماً. وكلما عرفنا جماله وعظمته وغناه ازداد حبنا به وحاولنا أن نرضيه، وأن نرمي بعيداً عنا ما لا يؤدي اليه.

هذا ما كان يدفع القديس بولس الى القول: ان كان أحد لا يحب الرب يسوع، فاللعنة عليه! (1 كو 16: 22) وكان يعتبر اوساخاً ووحلاً كل ما يحول دون يسوع المسيح.

وحب يسوع المسيح هذا يجعلنا نبتعد عن كل ما لا يؤدي اليه، عن كل ما يتجه نحوه، حتى اذا كان ذلك في ذوينا أو في أصدقائنا وأقاربنا. اننا لا نعود نستطيع أن نتحمل شيئاً لا يؤول لمجده وحبه، ونقول، كما قال يسوع لبطرس، الذي لم تكن أفكاره أفكار الله: اذهب خلفي يا شيطان فأنت لي شكّ. ولا نهاب من أن نشكّك الناس والعالم لكي نُرضي يسوع المسيح.

كذا فعل الرسل والقديسون كالقديس فرنسيس الاسيزي [1]

❖ "تركا الشباك وأباهما زبدى وذهبا" (مر 1: 16- 20) ان التلميذ لا يريد أن يرضي الا يسوع المسيح لأن يسوع المسيح فرحه وسعادته ومعلمه والهه. "أتُراني استعطف الناس أم أستعطف الله؟ ألعلّي أتوخّى رضا الناس؟ فلو كنت الى اليوم أتوخى رضا الناس، لما كنت عبداً للمسيح" (غلا 1: 10) حتى ان تلميذ يسوع لا يهاب من أن يعتبره الناس أحمق ومجنوناً حباً بالمسيح "نحن جهال من أجل المسيح" (1 كو 4: 10) ان القديس بولس يميّز نوعين من المؤمنين أو من الكهنة الذين يخصّون يسوع: مَن يتصرفون حباً بالعالم ومن هم كلياً للمسيح يسوع ... ليفتكر العالم كما يشاء، هذا لا يهمني؛ لينظر اليّ كأي مجنون، الأمر سيان عندي، أنا للمسيح، اني أتبعه، أمشي على خطاه. لا شيء يمكنه أن يفصله عن يسوع المسيح. يقول القديس بولس: "من يفصلنا عن محبة المسيح؟ أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عري أم خطر أم سيف؟ ... واني لواثق بأنه لا الموت ولا الحياة، ولا الملائكة ... ولا شيء بوسعه أن يفصلنا عن محبة الله لنا في ربنا يسوع المسيح (رو 8: 35- 39). كل السعادة في اتباع يسوع المسيح. لقد سَمِع التلميذ كلمة المعلم "اتبعني" وفهمها؛ وهذه الكلمة أيضاً "أعطيتكم القدوة لكي تعملوا أنتم أيضاً ما عملته أنا" (يو 13: 15) وهو يريد أن يتشبه بيسوع معلمه ومثاله.

[1] كان للقديس فرنسيس الاسيزي أثر كبير في حياة الاب انطوان شفريه، وخصوصاً في فضيلة الفقر. كان مرشده كاهناً كبوشياً وقد انضم هو نفسه الى الرهبانية الثالثة. لذا فقد ربط عائلته الروحية كلها بـ "الرهبانية الثالثة" التي تضم أعضاء من الاكليروس ومن العلمانيين الذين يحبذون روحانية القديس فرنسيس دون أن يرتبطوا بها بالنذور الرهبانية: الطاعة والفقر والعفة.
راجع كتاب "سيرة فقير" ص 119- 123

"عندما يحب انسان شخصاً بصدق يشعر بالسعادة في اتّباعه والمسير في أثره. وهو سعيد أيضاً أن يراه ويسمعه وأن يسعى جهده للتشبه به. انه لا يعود يحيا الا من أجله.

يسوع المسيح حياته. فالحياة عندي هي المسيح والموت غُنم" (في 1: 21) "وقد صُلبتُ مع المسيح فما أنا أحيا بعد الآن، بل المسيح يحيا فيّ" (غلا 2: 20)

فيجب أن يصبح يسوع المسيح حياتنا أي تفكيرنا الدائم والمستمر، تتجه نحوه كل أشواقنا وعواطفنا ليلاً نهاراً.

الام تحيا من أجل وليدها، والزوجة من أجل زوجها والزوج من أجل زوجته، الصديق من أجل صديقه، البخيل من أجل ماله، الأناني من أجل ذاته، التاجر من أجل تجارته. هذه هي حياة كل هؤلاء الأشخاص: انهم يضعون حياتهم في ما يبحثون عنه، في ما يحبون، وعندما يُفصَلون عن هذه الأشياء أو هؤلاء الأشخاص فانهم يبكون ويتألمون ويئنّون حتى يسترجعوا موضوع حبهم.

أما نحن فحياتنا هي المسيح يسوع.

في الساعة الكبيرة شريط نابض يحرّك كل الآلات الداخلية ويدل على الوقت. يسوع هو ذاك الشريط النابض الداخلي والخفي الذي يدلنا دوماً على يسوع المسيح ذاته. "حيث كنزكم هناك أيضاً قلبكم. فاذا كان يسوع المسيح كنزنا فان قلبنا وفكرنا يكونان دوماً معه"

ت ح 114 – 118

❖ لا يستطيع التلميذ، الذي خلب لبَّه جمالُ المسيح، أن يأخذ الا قراراً واحداً ألا وهو أن يلبي نداء من يدعوه الى الكمال.

عندما نعاشر الاب شفريه ونعرف ليس تواضعه الروحي فحسب بل ميله العفوي الى التلاشي (وربما أيضاً طبيعته الخجولة)، نفاجأ بأن نلاحظ الى أية درجة كان مقتنعاً بأنه الأداة التي يدعو بها الرب اليعض الى اتّباعه في حياته الكاملة.

كما يمكننا أن نتحقق أن الاب شفريه كان يعرض على الإكليريكيين تأملات فقط. نرى ذلك ليس لأنه يذكر صريحاً أو تلميحاً آيات الكتاب المقدس فحسب، بل أيضاً لأنه يشير الى خبرة كل واحد منهم الشخصية. نحن نعلم محبته في الكشف لتلاميذه كيف ان العناية الربانية تتدخل في حياتهم. لقد اختبر هو نفسه أي نور وأية قوة ربح من هذه التأملات لكي يثابر على دعوته.

فمن شاء أن يتذوق الأسطر التالية عليه أن يعلّق عليها بنفسه لنفسه وهو يتأمل حياته الشخصية والكتاب المقدس وخصوصاً حياة يسوع، قدوس الله والتقدمة الحية لخلاص العالم.

"يدعونا يسوع اذن الى الكمال عندما يدعونا الى أن نصير تلاميذه الحقيقيين.

والنعم الخاصة التي قبلناها تبرهن لنا عن لك بوضوح: نِعمُ الاختيار ودعوة" خاصة، عناية" شخصية من لدن الرب على الصعيد الروحي وعلى الصعيد الزمني. ذلك يُلزِمنا بأن نتبع يسوع المسيح في حياته الكاملة.

على كل حال، تلك هي غايتنا. وأنا لا أطلب شيئاً الاَّ أن تلبوا نداء الرب ونداءنا.

اذا سمعتم صوته فلا تقسّوا قلوبكم، ولا تصموا آذانكم.

علينا أن نجيب بفرح:

هاءنذا! أنا لك! لبّيك!

تكلم، يا سيد، فان عبدك يصغي.

سيدي، الى مَن أذهب؟ ان عندك كلام الحياة الأبدية.

أنت نوري.

أنت طريقي وحياتي، حكمتي وحبي.

سأتبعك، سيدي، حيث تمضي.

اني مستعد أن أموت معك.

وأن أذهب الى السجن، الى الموت.

أنت ملكي ورئيسي ومعلمي.

سيدي، ان كنت بحاجة الى فقير، فهاءنذا!

وان كنت بحاجة الى مجنون، لبّيك!

هاءنذا يا يسوع، لأعمل مشيئتك.

أنا لك ... أنا لك .. م 11 ت ح 122

❖ **الى الشماس فاريسيه** البرادو، كانون الاول 1872

صديقي العزيز

... في العاشر من تشرين الاول أقمنا عيدنا الخاص ألا وهو السجود الدائم للقربان الأقدس. لقد وضعنا العيد في ذكرى استملاكنا للبرادو. قبل اثنتي عشرة سنة، في مثل هذا اليوم، حصلت على البرادو: كان آنذاك عيد الحبل بلا دنس، وفي الوقت نفسه عيد الظهور في لوريت. لم يكن لي يومذاك أي دخل وأي سند سوى الثقة بالله، واليقين انني اذا أعطيت الخبز الروحي للنفوس سيعطينا الرب الخبز المادي. كنت أرتجف بشدة في ذلك اليوم ... لقد خبَّأ لي الله جماً من الشدائد والمصاعب. ومنذئذ جرت حوادث عديدة في هذا المكان: اهتدت بعض النفوس الى الرب، هذا كان جلّ مبتغاي. لقد عملنا كثيراً ولم نقم بمشاريع.

ولكن، وسط كل ذلك، طلبت دوماً من ربي أن يخلق بيننا نواة من الكهنة الفقراء والمخلصين، لا يكون لهم رغبة أو فكرة الا أن يتفانوا في سبيل خلاص النفوس لمجده تعالى، عائشين في الفقر والتضحية.

ففي العاشر من الشهر الجاري فكرت بكم كثيراً، يا أبنائي الاحباء، وطلبت لكم من سيدنا يسوع المسيح، الحاضر على المذبح، أن تكونوا بأجمعكم التقدمة الاولى التي رفعتها اليه عندما قدّمت له البيت والاشخاص الذين فيه، تلك الحجارة الروحية الحية التي عليها أن تخدمه بالفكر والقلب.

لقد ارسل الله لنا حتى اليوم الخبز المادي، ولكن هذا "لا شيء". اني أسأله نفوساً مخلصة، نفوساً معطاءة، حجارة روحية، قديسين. كونوا أصدقائي الأعزاء، تلك الحجارة وهؤلاء القديسين وتلك النفوس السخية التي عليها أن تعمل من أجل يسوع المسيح، ومعه، لتكمّل على الأرض حياة التضحية والتفاني والمحبة. أصبحوا مسحاء آخرين، ادرسوه، انه مثالكم. زوروا غالباً بالفكر، المذود والجلجلة وبيت القربان، لكي تستقوا منها الروح والحياة اللذين سينعشانكم الى الأبد. ثقوا أن لكم الحصة الكبرى في صلواتي واماتاتي.

اني أسألكم أيضاً حصة من صلواتكم واماتاتكم. الى اللقاء. واني أباركككم.

انطوان شفريه

م 13 و 50

❖ يدعو يسوع تلاميذه الى التفكير الرصين ان شاءوا أن يسلكوا طريق الانجيل: "من منكم، اذا أراد أن يبني برجاً لا يجلس قبل ذلك ويحسب النفقة ليرى هل بإمكانه أن يتمَّه". (لو 14: 28)

ويُظهر الانجيل بوضوح أن الامر الهام هو الا تتردد في اتخاذ القرار لاتباع المسيح، وأن الأهم هو أن ندرك قدر المستطاع النتائج العملية التي يجرها علينا هذا القرار. فيحاول الاب شفريه اذن، أن يثبّت اندفاعاً قد يكون عابراً وأن يطهّره ان لم يكن له مصدر روحي عميق. فمن الضروري اذن أن ندقق في الميول التي تستيقظ فينا وتنزع ذاك الاندفاع العفوي الذي يحملنا الى اتباع يسوع المسيح والاقتداء بجماله الانجيلي. أمام عظمة هذا النداء النابع من التأمل في الكلمة المتجسد لا يسعنا أن نتكلم، بخصوص ما قد يعتري هذا النداء من عوائق، الا عن أهواء ضعيفة وأفكار لا قيمة لها.

كل ذلك يدعونا أخيراً الى التأمل في مشهد انجيلي: بطرس يمشي على الماء بأمر من معلمه.

(متى 14: 22- 33)

"يقول الروح القدس في بعض المواضيع انه يقف على الباب ويقرع بل ويقول أكثر من ذلك، انه يدفع الباب ليدخل. (رؤ 3: 20)

قلبنا مثل باب يقرعه الرب محاولاً أن يلجه.

غير أن الباب يمكنه أن يكون في حالات عدة. فعندما يُقرَع ونأتي لنرى مَن الطارق يمكننا أن نترك الباب مغلقاً ولا ندع أحداً يدخل، كما يمكننا أن نفتحه "نصف فتحة" فقط ونترك الداخلين أمام الباب، وأخيراً يمكننا أن نفتحه على مصراعيه وندع جميع الطارقين يدخلون.

هذا ما نستطيع أن نفعله مع يسوع المسيح معلمنا بالنسبة الى باب قلبنا عندما يحاول أن يدخل.

من لا يفتح الباب، هو من يرفض المعلم، ويرفض كلياً أن يستقبله لئلا يتبعه، لأنه يفضل أن يتبع أفكاره وأهواءه والعالم.

أما من لا يفتح الباب الا "نصف فتحة" فهو من يسمع الطرق دون أن يترك المعلم يدخل اليه بصورة كاملة. انه يبقى سيد الباب، سيد نفسه، ولا يريد أن يستقبل أحداً، انه سيد منزله وقلبه. انه يصغي ولكنه يختار ما يأخذ، ويعمل ما يشاء، يختار ما يصلح له ويهمل الباقي الذي لا يعجبه. انه يقبل المعلم بحذر وفطنة ويصغي الى منطقه، الى أهوائه الصغيرة التي تتحكم به، أكثر مما يصغي الى المعلم الحقيقي المزمع أن يدخل. انه يرتاب، يخاف، لا يفتح قلبه الا "نصف فتحه"، فلا يستطيع المعلم أن يدخل لكي يقوده كما يشاء.

أما الأخير فانه يفتح الباب على مصراعيه ويدع المعلم يدخل اليه. انه سعيد بأن يستقبله وأن يتركه يحتل عنده مكان الصدارة. ثم يصغي اليه بانبساط، وليست له سوى رغبة واحدة ألا وهي أن نفهم ما يقول وأن يطبقه في حياته. انه لا يجادل بل يسعى الى تطبيق ما يسمع. انه يجلس، بالفكر، عند قدمي المعلم، كمريم، ولا يتلهى بأي منطق ولا بأي أهواء تثور؛ المعلم يتكلم، فلا فكرة له ولا رغبة الا في أن بفهم ما يسمع وأن يطبقه وأن يغذي به نفسه. الحب هو الذي يقوده ولا شيء سواه. انه يريد أن يدخل ملكوت السماء، محط رغباته، بل انه يدوس كل ما تقول له النزوات والمنطق. ليس له من معلم الا يسوع المسيح ولا يريد أن يتبع سواه. لا تقول نفس مطيعة وسخية: هذا اصعب، هذا مستحيل، هذا مضاد للفطنة، للتقاليد؛ لا شيء من ذلك كله:

المعلم تكلم ... قال المعلم ذلك .. هذا يكفي

ت ح 124 – 125

أجل! لقد أصاب سيدنا يسوع المسيح عندما قال: ان لم ترجعوا فتصيروا كالأولاد لن تدخلوا ملكوت السماوات. أي انكم اذا سيّرتم حياتكم بالمنطق البشري، اذا استشرتم "منطقكم" ومنطق العالم وأهواءكم لن تصغوا أبداً الى أقوالي ولن تنفذوها بتاتاً، لأن كلامي آت من العلاء بينما أفكاركم تتبع من الأرض. أنا من علَ وأنتم من أسفل. فان كان هو من العلاء لنتركه يقودنا بكل بساطة ولا نحاولن أن نجعل أنفسنا على مستواه لأنه أعلى منه، ولا أن نحطّ من عقيدته بأفكارنا المسكينة. منطقنا هو الذي يقتل الانجيل وينزع عن النفس ذاك الاندفاع العفوي الذي يحملنا على اتباع يسوع المسيح وعلى الاقتداء به في جماله الانجيلي. ما كان القديسون "يتفلسفون" هكذا، ولأنه كَثُر "المتفلسفون" قلّ القديسون.

لا تخافوا ... أنا هو.

وان كان لا بد من المسير على البحر، كبطرس، ألا يجدر بنا أن نذهب الى يسوع، لو قال لنا، كما قال له: تعالَ؟

م 11 ت ح 126 - 127

❖ والآن هذان نصّان يكمّلان النصوص السابقة. عندما نقرر أن نتبع يسوع المسيح حباً به لا بد من أن نهتم جدياً بما يهتم هو له. اننا نسير على الطريق نفسها عندما نشترك بالبواعث التي جعلته يسير عليها: الا وهي أن نمجد الآب بأن نحمل الثمار، وأن تتمّ واجباتنا العظمى في مهمتنا الرسولية.

النص الاول متقن أكثر من النص الثاني ولكنه أقل حدّة. وان الاب شفريه يرى بواقعية ما يجب عمله ولكنه يعسر عليه التعبير عنه بصورة جلية. لقد فتش طويلاً، على ما يظهر عن الطريقة للتعبير واتّبع أخيراً الترتيب نفسه الوارد في النص الانجيلي:

"ويعرف الناس جميعاً انكم تلاميذي اذا أحب بعضكم بعضاً". (يو 13: 35)

ان المحبة هي الطابع الذي يميّز تلميذ يسوع الحقيقي. ولكي نصل الى هذه المحبة طالب سيدنا يسوع المسيح بإلحاح بتلك الشروط التي، من دونها، لا توجد محبة كاملة ولا يوجد تلاميذ حقيقيون. وبالفعل، كيف يمكننا أن نحب الله والقريب ام كنا متعلقين بخيرات الأرض؟ كيف يمكننا أن نحب الله والقريب ان كنا متعلقين بالمخلوقات؟ كيف يمكننا أن نحب الله والقريب ان كنا نحب أنفسنا؟

الأسباب التي يجب أن تحملنا على أن نصبح تلاميذ حقيقيين ليسوع المسيح:

"ألا ان ما يُمجَّد به أبي أن تثمروا ثمراً كثيراً وتكونوا تلاميذي" _(يو 15: 8)

"قد علمتم الآن هذا الامر، فطوبى لكم اذا عملتم به" (يو 13: 17)

الشروط الخمسة التي يجب تحقيقها لكي نصبح تلاميذ حقيقيين ليسوع المسيح:

1) ان نزهد في خيرات الأرض.
2) وان نزهد في الخلائق.
3) وان نزهد في أنفسنا.

وعندما نكون قد زهدنا في جميع هذه الامور التي هي عثرات في طريق الحياة الانجيلية يجب علينا:

4) ان نحمل صليبنا.
5) ان نتبع يسوع المسيح، لكي نصل الى تطبيق المحبة الالهية في حياتنا. ان لم تتمّ هذه الشروط فنحن لا نصلح لشيء.

تلك هي الشروط التي يضعها المعلم الالهي على كل من يريد أن يصبح تلميذه الحقيقي.

ان لم تتمّ هذه الشروط لا يمكننا بتاتاً أن نقوم بواجبات الرسالة الكبرى، التي هي: أن نكون ملح الأرض ونور العالم، ونحن لا نصلح حينئذ لشيء الا لأن يُرمى بنا خارجاً، كما يصرح بذلك المعلم نفسه عندما قال:

"ان الملح شيء جيد ولكن اذا فسد الملح فأي شيء يطيبه؟ انه لا يصلح للأرض ولا للزبل، بل يطرح في خارج الدار" (لو 14: 34). وفي موضع آخر: أيستطيع الأعمى أن يقود الأعمى؟ ! ألا يسقطان معاً في حفرة؟ ! (لو 6: 39)

❖ أما النص الثاني فعلى العكس من ذلك. انه أشبه شيء بفكرة عابرة أو "رؤوس أقلام" مطروحة بين جملة من العناوين. انه يلخّص ببضع كلمات ما عبَّر عنه النص السابق، غير انه يجعلنا نلمس بوضوح أكبر ارادة الاب انطوان الذي صمَّم أن يزهد في نفسه كلياً، كما نلمس حبّه العارم للمسيح يسوع.

"تنبيه يوجهه سيدنا يسوع المسيح الى من يريد أن يصير تلميذه:

زهد" كامل في جميع ما نملك.

انه لا يرد "نصف رجال" يريدنا كلياً. يريد أن نزهد في كل شيء لنكون له. م 11

V صلاة الى الكلمة

أيها الكلمة، أيها المسيح!

ما أعظمك! ما أجملك!

من يقدر أن يعرفك ويتمكن من فهمك.

أعطني، أيها المسيح أن أعرفك وأحبك.

هبني أن ألقي نظرة عليك أيها الجمال اللامحدود.

وبما انك النور، دع قبساً من نورك يغمر نفسي الحقيرة لأراك وأفهمك فألقي اليك نظرة. أيها الجمال اللامحدود.

امحُ قليلا من ضياء نورك الباهر لتستطيع عيناي أن تتأملك وتنعم بكمالك الالهي.

افتحْ اذنيَّ لكلامك الالهي فأسمع صوتك وأتأمل في تعاليمك.

افتح ذهني وعقلي كي تلج كلماتك الى قلبي فأتذوقها وأفهمها.

أيها الكلمة! يا معلمي! يا رئيسي! وملكي.

وطِّدْ ايماني بك فتصبح أقوالك كلها أنواراً تضيء السبيل أمامي وتقودني اليك، فأتبعك في جميع سبل العدل وطرق الحق.

أيها المسيح والكلمة.

أنت ربي وسيدي الاوحد.

تكلم، أريد الاصغاء اليك والعمل بوصاياك لأني أعرف انها من العلاء.

أريد الاصغاء الى تعاليمك والتأمل فيها والعمل بها، لأن فيها الحياة والفرح والسلام والسعادة.

تكلم. أنت ربي وسيدي، اليك وحدك أريد الاصغاء. م 11 ت ح 108 في الحاشية والمتن

وكتعليق على هذه الصلاة الرائعة التي يتلوها كهنة البرادو ننقل هنا ما فاض به قلب سيادة المطران انسل Mgr. Ancel في مجلة "كهنة البرادو" في عددها الثامن والعشرين الصادر في كانون الثاني عام 1956.

"يمكننا أن نقول أن هذه الصلاة هي صلاة تلميذ يسوع الحقيقي، صلاة التلميذ الذي يصغي الى المعلم، ويريد من ثمَّ أن يضع موضع العمل ما تعلمه منه.

ولكي نفهم هذه الصلاة علينا أن نتشربها كلمة كلمة، بخشوع عميق. لا يمكن التعليق عليها. انما أود فقط، من خلال تعابير الاب شفريه، أن أساعدكم في اكتشاف نفسه، نفس تلميذ حقيقي ليسوع المسيح.

أيها الكلمة، أيها المسيح!

حين ينظر التلميذ الى المعلم يتلاقى معه بالإيمان، مع ابن الله بالذات: أيها الكلمة.

غير ان ابن الله صار بشراً: أيها المسيح.

هذا الجمال وهذه العظمة هما أولاً جمال كلمة الله وعظمته، انعكاس مجد الآب، مؤلفاً وحدة جوهرية مع الآب والروح القدس في كمال الالوهية اللامحدودة.

بيد ان التلميذ يصل أيضاً الى جمال طبيعة المسيح الانسانية وعظمتها. المسيح هو صورة الله غير المنظورة، انه أجمل أبناء بني البشر. وفي الوقت نفسه، في طبيعته البشرية ذاتها، انه يتفوق على جميع البشر دون استثناء.

غير انه، في الصلاة، لا منطق ولا شرح. هو التقاء ايماني بسيط. هو فرح التلميذ، لأنه يحب معلمه، بأن يجده جميلاً وعظيماً بهذا المقدار.

من يقدر أن يعرفك وتيمكن من فهمك؟ أمام جمال المسيح وعظمته يرى التلميذ نفسه مقصراً. ما يعرفه عنه كلا شيء. هو أمام جمال وعظمة لا متناهيين، فلا قياس مع امكانيات العقل البشري. نعم يرى نفسه مقصراً: من يقدر أن يعرفك ويتمكن من فهمك؟

أعطني، أيها المسيح، أن أعرفك واحبك.

غير أن عزائم التلميذ لا تهن. عندما يحب الانسان لا تخمد عزائمه انه يريد بكل قواه أن يعرف من يحب. ولكن التلميذ لا يستطيع أن يذهب، بقواه الخاصة فقط، أبعد من امكانياته الشخصية. لذا فإن شوقه الى المعرفة يتحول الى صلاة: أعطني، أيها المسيح، أن أعرفك وأحبك.

هذه الصلاة صرخة تتحول الى عبارتي ضراعة: بما انك النور، دع قبساً من نورك يغمر نفسي لأراك وأفهمك، فألقي اليك نظرة، أيها الجمال غير المحدود.

لا نستطيع أن نعرف الله الا في نور الله. والتلميذ يشعر بشقائه، بحقارته، ولكنه يعرف أيضاً أن الذي اختاره يحبه. لذا فهو يجترئ ويطلب لنفسه المسكينة شعاع نور علوي. والآن فهو ما عاد يتكلم عن المعرفة فحسب بل يريد أن يرى، أن يفهم.

استجيبت الصلاة: فاض النور! وتعاظم حب التلميذ وفرحه عندما ولج النور قلبه فازدادت جرأته وعبَّر عن رغبةٍ فيه، غير معقولة: دعني ألقي اليك نظرة، أيها الجمال غير المحدود.

لقد استجيبت الصلاة، ونور الرب قد فاض في نفس التلميذ. غير انه يزداد هذا النور الالهي ظلاماً كلما فاض علينا بسخاء، لأننا لا زلنا في هذه الحياة. الا أن التلميذ هو رسول في الوقت نفسه، وعليه أن يبشر، وعليه أن يعلن للبشر شيئاً عن الأسرار الالهية التي تراءت لعينيه. لذلك فهو يطلب الى الله أن يخفف قليلاً لمعان النور الذي قد يمنعه من تمييز ما يجب عليه أن يردده على البشر: امحُ قليلاً من ضياء نورك الباهر لتستطيع عيناي أن تتأملك وتنعم بكمالك الالهي.

ظهر كلمة الله للتلميذ في نور بهي. ولكن الآب لم يقل على جبل طابور: "هذا هو ابني الحبيب" فحسب بل أيضاً "فله اسمعوا". فعلى التلميذ أن يصغي الى معلمه:

افتحْ اذنيّ لكلامك الالهي فأسمع صوتك وأتأمل في تعاليمك. تتذكر، في هذه الجملة، مريم في بيت عنيا، تلك التي اختارت النصيب الأفضل (لو 10: 38 – 42) لا يستمع التلميذ الى أقوال المعلم كما يستمع الى أي كلام بشري. انه يتوق الى سماع صوت المسيح. ما يهمه قبل كل شيء هو المتكلم نفسه الذي منحه كل ثقته. ولكن ما يسمعه هو غني بالمعاني بدرجة انه لا يكفي الاستماع فقط حتى يفهم، بل لا بد أيضاً من التأمل. فنتذكر حينئذ مريم، أمَّ يسوع، التي كانت تتأمل في قلبها بما يجري أمامها (لو 2: 19). وهذا التأمل ليس تحليلاً ذهنياً أو منطقياً. ان هو الا تأمّل على طريقة العذراء مريم، وتشرّب" لما قيل كي يستقرّ التعليم في كياننا بأسره.

افتح ذهني وعقلي كي تلج كلماتك الى قلبي فأتذوقها وأفهمها ...

وتتابع صلاتنا.

يجب أن يدخل الكلام الى أعماق فكرنا، ثم أن يصل الى القلب بواسطة الذهن والعقل، لأننا لا نستوعب تعليماً الا اذا أحببناه. والروح القدس فقط يمكنه أن يفعل ذلك فينا. ألم يصرّح يسوع لرسله: فمتى جاء روح الحق، أرشدكم الى الحق كله. (يو 16: 13)

بل لا يكفي ذلك أيضاً. لا يكفي أن نعرف تعليم المسيح ونحبه، بل المهم أن نحياه وأن نضعه موضع العمل، والا فنحن نشبه الاحمق الذي بني بيته على الرمل (متى 7: 26). الا أن القوى البشرية عاجزة، هنا أيضاً، فلا بد من أن نطلب تحقيق ذلك فينا: وطّد ايماني بك فتصبح أقوالك كلها نوراً تضيء السبيل أمامي وتقودني اليك، فأتبعك في جميع سبل العدل وطرق الحق. كلام المسيح كلي القدرة؛ بكلمة الله الأزلي خُلق العالم. غير أن هذه الكلمة لا تأتي بثمر الا اذا اقتبلناها في الايمان فتصبح حينئذ نوراً وتكتسب قوة ديناميكية تجذب التلميذ الى اتّباع معلمه وتجره وراءها في جميع سبله، الى المذود، والى الجلجلة، والى بيت القربان.

هكذا يصبح التلميذ، حيال معلمه، ممتلئاً من نور الله، ومشبعاً من كلامه.

أصبح التلميذ، في نور الله وقوَّته، مستعداً وجديراً بأن يستنتج: أيها المسيح والكلمة، أنت ربي وسيدي الاوحد. اتحاد التلميذ بالرب كامل؛ انه للمسيح الذي أصبح، بالنسبة اليه، كلاً. انه الاوحد.

تكلمْ، أريد الاصغاء اليك والعمل بوصاياك، لأنني أعرف انها من العلاء. يمكنه أن يقول الآن كلمة: أريد، لأنه تقوَّى من الرب نفسها. وهو لا يتردد لأنه لا يستند الى كلام بشري بل الى كلام آتٍ من السماء.

وعندما يتخذ التلميذ هذا القرار: أريد، يشعر حينئذ بالنشوة وبالامتلاء، حتى انه أصبح يردد هذه الكلمة مراراً، وما عاد يفكر بمصدرها السماوي فقط بل بالثمار التي ستنتجها والتي ستنتجها والتي تذوقها حينئذ: أريد الاصغاء الى تعاليمك والتأمل فيها والعمل بها، لأن فيها الحياة والفرح والسلام والسعادة.

وأخيراً، لكي يلخص صلاته كلها وعواطفه، فهو يعبّر عن حالته كتلميذ أمام معلمه وسيده وحبيبه: تكلم، أنت ربي وسيدي، اليك وحدك أريد الاصغاء. يقول ذلك بثقة لا حد لها.

يمكننا العودة مراراً الى هذا النص. ونرى في الوقت نفسه أن التأمل العميق يوجّه العمل، بسبب الحب الذي يحثّ عليه.

يتأمل التلميذ في مسيح هو مخلص البشرية. والتعلق بهذا المسيح يوجه حتماً نحو الرسالة. وهذا التوجيه الرسولي يصبح استعداداً كاملاً وتأهباً مستمراً بالنسبة الى من دعي خصيصاً لتبشير اخوته. ويتحول التلميذ حينئذ الى أداة طيعة بين يدي الله يستعملها كيفما يشاء في عمله الخلاصي. ولذلك فان معاشرة المسيح المستمرة ومحبته ولو لم تكونا موجهتين نحو عمل رسولي معيَّن، تصبحان حتماً، في نظر الاب شفريه، معاشرة ومحبة رسوليتين، حيث تنتعش صلاة الرسول، وبنوع عام، حيث تختلج حياة الكاهن الرسولية بأكملها. وهما، في الوقت نفسه، موضع استراحة التلميذ، بعد عمل رسولي مضنٍ، لكي يستعيد القوى، في تأمل الحبيب [1].

[1] راجع في هذا الموضوع كتاب المطران انسل الأخير لعام 1986
La spiritualité apostolique du Prado

I عمل الروح القدس

❖ ان عبارة "عبادة الروح القدس" أخذت في البرادو معنى خاصاً وضع شكله الاب شفريه في قالب صلاة معينة:

"بعد الغداء نصلي صلاة "تعال أيها الروح الخالق" ثم بعد سبع مرات "السلام عليك" لإكرام مراهب الروح القدس السبع ثم الصلاة الأخيرة".

❖ ان الغاية من هذه العبادة واضحة ألا وهي أن نعمل دوماً باتحاد مع روح يسوع المسيح معلمنا ونورنا. يجب أن نصل الى عبادة حقيقية بالمعنى الذي شرحه القديس فرنسيس ده سال. أي يجب أن نتعبد للروح القدس بإعطائه ذواتنا، أو بمعنى آخر، يجب "تكريس" واتنا له في علاقة مستديمة معه. انها النتيجة الحتمية لهذا التكريس ولتلك العلاقة لأن روح الرب يوجه تلاميذ المسيح كما كان يوجه المسيح نفسه.

الى الإكليريكيين البرادو في 6/ 6/ 1873

أولادي الأعزاء جداً.

ليس بودي أن أترك أسبوع العنصرة هذا الجميل يمر دون أن أكتب اليكم كلمة صغيرة. انه اسبوع الروح القدس، وأنتم تعلمون جيداً كم نحن بحاجة الى هذا الروح لكي نحيا حياة الرب.

ان مولود الجسد جسد، ومولود الروح روح. ويقول يسوع أيضاً: ما من أحد يمكنه أن يدخل ملكوت الله الا اذا ولد من الماء والروح (يو 3: 5). فيجب اذن، والحالة هذه، أن نقبل هذه الحياة الجديدة وأن نأخذها وأن تتمّ في ذواتنا تلك الولادة الثانية من الروح، التي تقربنا وحدها من الله. مولود الجسد جسد. نعم! فينا هذا الانسان الاول، من آدم مع شهواته وعيوبه وشقائه ونتائجه الوخيمة. وكل ذلك نتيجة الخطيئة. انه الروح القدس الذي يهدم فينا هذه الطبيعة الاولى، هذا الانسان الاول، بنعمته وقدرته، ويضع فينا هذه الحياة الروحية الالهية التي تجعلنا نتشبه بخالقنا. لقد خلقنا على صورته ومثاله. أما الروح القدس فهو الذي يعيد تلك الصورة المشوهة بالخطيئة، ياللاسف، الى أصلها الجميل.

آه! لنصلِّ كثيراً الى الروح القدس؛ انها ضرورة ملحّة بالنسبة الينا. ولقد صرَّح يسوع، لكي يُفهمنا هذه الأهمية: لا بد لي من أن أذهب لكي أرسل عليكم الروح القدس. ذلك، لأن الثالوث الأقدس يعمل فينا لكي يجعل منا رجالاً كاملين: فالآب يخلقنا، والابن يرينا الحق والطريق، فهو نورنا، أما الروح القدس فيعطينا الحب ويجعلنا نحبه. ومن يحب يفهم ويشعر ويعمل. فالروح القدس ينهي اذن ما ابتدأه يسوع

[1] أما نحن في برادو الشرق فقد اقتبسنا صلاة أخرى للروح القدس من الطقس البيزنطي: صلاة الساعة الثالثة لأيام الصوم وأضفنا اليها طلبة مواهب الروح القدس.

المسيح. الاب يعطي الوجود، والابن يكشف لنا عن ذاته ويرينا الله الطريق، والروح القدس يجعلنا نعرف الله ونحبه. ان أعمال الثالوث الأقدس الثلاثة هذه تجري فينا، وجميعها ضرورية بالدرجة ذاتها. غير أن عمل الروح القدس هو، نوعاً ما، الأهمّ. لأنه ما المنفعة من الرؤية ان لم نفهم ما نرى؟ ما المنفعة من السماع ان لم نفهم ما نسمع؟ بل ما المنفعة من الفهم ان لم نحب؟ ليتكم اذن تفهمون جيداً عمل الروح فينا كي تستطيعوا أن تسألوه أن يعمل فيكم والا تضعوا أية عثرة أمام عمله.

ليكن الروح القدس نوركم وحبكم. ليجعلكم تعرفون الاب والابن وتحبونهما. وحينئذ تصبحون حقاً أبناء الله الذين لم يولدوا من الجسد والدم، بل من الله ولدوا بواسطة الروح القدس ...

... ان كان صديقنا دوره لا يزال متعباً فلا تهملوا شيئاً لتوفّروا له العناية اللازمة. قدِّموا له ما يلزم صباحاً وأثناء النهار. سأدفع المصاريف متى أتيت لأراكم.

لا يزال البيت كما هو تقريباً، بسبب كسلي. كم أنا بحاجة الى روح الرب. اني أفكر بالذهاب قريباً الى غرفتي وكم أود أن أبقى فيها دوماً وألا أخرج منها، لأني أرى اني لا أنفع لشيء. اني لا أطلب من الرب الا شيئاً واحداً الا وهو أن أعلّم جيداً الديانة وأن أثقِّف الفقراء والأولاد. يا أصدقائي الصغار، ما أجمل أن تتقن التكلم عن الله! ...

الى اللقاء. سلامي لكم وبركتي عليكم.

انطوان شفريه

م 13 و 50

❖ ان عبادة الروح القدس هذه ضرورية الموصل الى معرفة يسوع المسيح الكاملة. كيف نعرف يسوع المسيح ونحبه، وكيف نقتدي بمعلمنا ان لم يضعنا الروح القدس، روح يسوع المسيح، المعلم الداخلي، في حالة التلمذة؟

"اتبعوني في روحي.

لا يمكننا أن نعمل كما نريد وكما نفكر، بل كما يريد يسوع المسيح وكما يفكر هو.

طريقتي للعمل؟ ... روح يسوع المسيح ..

م 12

لذلك فانه لقليل جداً أن نكتفي بالخارج، بل يجب أن نمتلئ في الداخل كي نسير حقاً على خطوات المسيح وكي نعمل في الاتجاه ذاته وبالروح ذاته. م 12

❖ من الملاحظ أن عبارات الاب شفريه لا تسمح لنا دوماً التمييز، عندما يتكلم على روح الله وروح يسوع المسيح، ما اذا كان من الواجب علينا أن نفهم انه يتكلم على الروح القدس بالذات أو على الحالة الروحية أو التوجيهات أو الرغبات أو الارشادات التي يخلقها في الشخص حضور الروح القدس فيه. غر ان هذه الصعوبة بالذات، كما نعلم، موجودة في الكتاب المقدس نفسه، يقول مثلاً:

"ان الزهد في فكرنا قد يكون أهمّ موضوعـ ومنه يأتي كل الباقي. أجل نزهد في فكرنا كي نأخذ فكر الله، روح يسوع المسيح."

وبمقدار ما نحوز على الروح القدس بمقدار ذلك نفهم أمور الله، وبمقدار ذلك أيضاً نصبح روحانيين وتتم ما يعلمنا الروح.

روح الله ... وروح الانسان .. م 11

❖ اننا نلمس هنا موضوعاً حساساً جداً الحّ عليه كثيراً الاب شفريه وأطال الحديث عنه بل وأعطاه مكاناً رئيسياً في بعض المحاولات الكتابية التي نسّقها قبل كتابه الأساسي "التلميذ الحقيقي".

اليك مثلاً "الموضوع الأساسي" الذي افتتح به جزءاً ضخماً من كتابه بعنوان "الكهنوت". انه يمزج معاً موضوعين: "معرفة يسوع المسيح" و "روح يسوع المسيح".

"ان معرفة يسوع المسيح ودراسته والصلاة، كل ذلك هو العمل الاول لكي نصبح حجراً في بناء الله الروحي. ما بني على أساس يسوع المسيح وحده يمكنه البقاء، وما بني على غير أساسه لا يمكنه الصمود. هذا، وان كل الاعمال الخارجية من طاعة وتواضع ومحبة واماتة ليست بشيء ان لم تصدر عن معرفة يسوع المسيح ومحبته، وان لم يكن مبدأها، ثم تأتي بعدئذ هذه الاعمال الخارجية بصورة تلقائية. وبالعكس فهي خيالية ومصطنعة وكاذبة ان لم تصدر عن هذا المبدأ. ان الروح هو الذي يحيي، وأما الجسد فلا يجدي نفعاً. (يو 6: 63). ان ملكوت الله في داخلكم (لو 17: 21). لذلك علينا الا نتعلق بالأشياء الخارجية بل أن نفتش عن روح يسوع المسيح، وليدفعنا هو نفسه الى العمل ... علينا أن نسير حسبما يدفعنا الروح، وأن نكون مؤسسين على التواضع. أنا لا أعمل شيئاً من عندي (يو 8: 28).

ان قال يسوع ذلك عن نفسه فكم بالأحرى يجب أن نقوله عن أنفسنا. فعليه اذن هو أن يعمل ما يريده فينا، وأن يختار، وأن يدعو، وأن يبني، وأن يرمي بعيداً ما لا يعجبه.

كل ما يمكننا أن نصنعه هو أن ندل على الطريق التي سار عليها يسوع، وأن نكشف للناس عما قاله. ثم على كل انسان أن يرى ان كان يريد اتباع يسوع المسيح وأن يأخذ محلاً في بيت الله. م 10

لا يكفي أن نبدأ العمل مع الله الآب بل لا بد من أن ننعي العمل معه أيضاً "كل ما أرى الاب يعمله أعمله أنا أيضاً".

أنتم أيضاً حجارة حية، فقدموا أنفسكم لبناء بيت روحاني للكهنوت المقدس كيما تقربوا ذبائح روحية يقبلها الله اكراماً ليسوع المسيح. (1 بطرس 2: 5) يجب أن يختار يسوع نفسه حجارة بيته. م 10

❖ بعد أن حاز الاب انطوان على السماح من مطرانه بأن يربي هو نفسه الإكليريكيين حاول كل جهده أن يرسّخ فيهم ضرورة الحصول على روح الرب. ولقد علَّمته خبرته الشخصية مراراً أن الرسول قد ينسى عملياً هذه الحقيقة الجوهرية وقد يبني عمله على الأشياء الخارجية. لذا فهو يبدأ بتنبيه الإكليريكيين الى أن روح الرب ليس في الأشياء الخارجية، ثم يصل الى الكلام عن فن التربية نفسه. وان أقل ما يقال في

ما كتب هو أن هذه التربية المستفادة من الانجيل لا تخلو من العمق ولا من الجرأة، فغاية هذه الطريقة الجوهرية تربية أناس روحانيين. غير أن الاب شفريه يظن انه ليس بالإمكان النجاح في أية عملية تربوية ان لم نحاول أن نربي الناس من الناحية الروحية.

انه لا يحكم على الأشياء الخارجية. انما يبدأ بوضع كل شيء في مكانه مميزاً تماماً بين "الروحاني" و "الباقي" كما سبق القول في معرفة يسوع المسيح. ويكتفي بالضروري من وسائل التربية لكي يربي رجالاً فيهم حقاً روح الانجيل. سيعود الى الفكرة نفسها مطوَّلاً في موضوع الفقر.

"أين نجد الروح الطيب؟

انه ليس في الأشياء الخارجية: انه ليس في المسكن ولا في الملبس ولا الخيرات، ولا في الألقاب ولا في المراكز العالية أو الوضيعة بل ولا في أعمال التقوى الخارجية، بما أن الفريسيين كانوا يصومون ويصلّون ويُحسنون الى الفقراء ومع ذلك فلقد دان يسوع المسيح صلاحهم كله مهما عظموا في أعين الشعب.

يقول القديس بولس: لو فرّقتُ جميع أموالي احساناً وقدمت جسدي ليحرق ولم تكن لديَّ المحبة، فما يجديني ذلك نفعاً. (1 كو 13: 2)

وهو ليس في الألقاب ولا في المناصب ولا في المقامات ولا في الأمجاد: كل هذه الأشياء الخارجية تفرض وجود روح الرب في أصحابها ولكنها لا تمنحهم اياه. يستطيع الانسان أن يكون كاهناً أو متقدماً بين الكهنة أو مطراناً أو رئيساً أو راهباً وأن يفتقر مع ذلك الى روح الرب، لأن الروح غير مرتبط بالألقاب ولا بالأمجاد ولا بالمقامات، انها تفترضه ولكنها لا تعطيه.

فأي خطأ جسيم يقترف من ظن انه حاصل على روح الرب وعلى الحكمة والفضيلة لأنه يلبس ثوباً معيناً أو يتحلى بشارات مذهبة أو لأنه موضوع احترام خاص أو زائد ... ثم يظن بعد ذلك أنه بسبب هذه الظواهر كلها يمكنه، دون محاسب، أن يتسلط ويأمر كما يحلو له، أو كما يمر بخاطره، معتمداً على ألقابه ومنصبه. وكأن هذه الظواهر قد جعلته حكيماً أكثر من غيره أو مختبراً وعالماً أكثر منهم أو، خصوصاً، معصوماً عن الخطأ ...

نلاحظ بعض الكهنة الشبان يعملون دون أي تحفّظ أن فطنة أو حكمة ويعتبرون أنفسهم معصومين عن الخطأ ثم يطالبون الجميع بأن ينحنوا أمامهم وأن يخضعوا لسلطتهم وأوامرهم.

يا للخطأ! يا للحماقة! وكم يستهدف هؤلاء الكهنة للهزء، هم والثوب الذي يلبسون.

كم يجب علينا أن نعمل بحذر وفطنة، بخوف ورعدة، اثناء الشباب وخصوصاً حيث لم تكتمل الخبرة بعد لأننا نعرّض أنفسنا لأخطاء وحماقات عديدة. ولا نظنن أن ثوبنا يعطينا الحكمة والفضيلة. ان الله وحده يمنحنا روحه ولا يمكننا الحصول عليه الا بشرائه بثمن باهظ جداً، بل وأحياناً "على حسابنا الخاص".

يجب علينا طبعاً أن نفكر بمحبة أن روح الرب يسكن أصحاب المناصب والأثواب المقدسة والوظائف العالية. لكن صاحب المنصب أو لابس الثوب عليهما أن يخافا الا يحوزا على روح الله، كما عليهما أن يحاولا بجميع الوسائل أن يحصلا عليه أكثر فأكثر سائلين المولى كل يوم أن يهبهما اياه.

كما أن روح الرب ليس في النظام أو الدقة الخارجية التي نعجب بهما كثيراً في عصرنا، ولا في الأعمال التربوية التي تجعل من الناس آلات حقيقية يحركونها بإشارات ورموز.

ان وضعتم كل النظام الخارجي والترتيبات والتدابير والدقة الميكانيكية في رجالكم وظننتم انكم أعطيتموهم روح الرب فلأنتم في ضلال، فقد لا يكون فيهم البتة، لأن روح الرب ليس في الخارج بل في الداخل.

ملكوت الله في داخلكم (لو 17: 21)

وهل من ترتيب ودقة أفضل من تلك التي تسود المعسكرات والسجون والمدارس الحكومية؟ ومع ذلك فهي تفتقر الى روح الرب. ان المظاهر الخارجية تفترض وجود روح الرب الا أنها لا تعطيه.

واليكم تشبيهاً تفهمون منه هذا الموضوع: هاتان شجرتان: الاولى اصطناعية والأخرى طبيعية، انهما متشابهتان كلياً.

يد الانسان صنعت الاولى: الجزع والأغصان والأوراق والأزهار والثمار ... كلها جميلة، ملونة فنياً، وتشبه تماماً الشجرة الطبيعية. ترتيبها خلاب وكذلك تنظيمها وشكلها، هيئتها ولونها ... غير أن هذه الشجرة لا جذور لها ولا ماوية، وليس فيها الا حياة مصطنعة، حياة مقنّعة.

ان الانسان فعل كل ذلك. أما الله فلم يمدد اليها يداً. انها جميلة للنظر غير انها لا تملك حياة داخلية فلا تعطي ثماراً حقيقية. وتلك الثمار ليست طيبة المذاق ولا تستظل الطيور تحت أغصانها لأنها لا تغتذي منها.

أما بالنسبة الى الشجرة الطبيعية فان الانسان لم يصنع فيها الا القليل: نصبها ثم سقاها وقلّمها ولكن الله هو الذي أنماها.

هناك ماوية داخلية وسرية، لا تُرى، آتية من الله لتعطي الحياة. هذه الماوية السرية هي التي أعطت الجزع والورق والزهر والثمر. والثمار لذيذة للمأكل.

في هذه الشجرة حياة داخلية آتية من عند الله وغير كائنة في الشجرة الاولى.

مهما كانت الشجرة الاصطناعية جميلة فلن تكون الا شجرة ميتة والأخرى شجرة حية.

لا تكلّف الشجرة الاصطناعية الا قليلاً من الاعتناء والعمل والدقة والنظام. أما بالنسبة الى الشجرة الحية فعلينا أن نمدها بالغذاء المحيي. كما علينا أن نمد بهذه الماوية النفوس التي نعلّمها. ولا نمدها بها الا اذا كنا حاصلين عليها. مهمتنا أن نمنح البشر النعمة والحياة، الايمان والمحبة التي تحيي ... وكل ذلك لا يعطى ان لم نحصل عليه مسبقاً، ولا نحصل عليه الا من الرب وبالألم.

انه عمل روحي أصعب بكثير من العمل المادي.

علينا أن نبدأ بالحصول على روح الرب وعندما يصير فينا يثمر كل الخارج، تماماً كما تفعل ماوية الشجرة.

علينا أن نهتم بالداخل أكثر بكثير من الخارج. ضعوا الداخل في النفوس تحصلوا على الخارج ... ضعوا الخارج، لن تظفروا بشيء ...

قد يقال أن الخارج دليل الداخل. كلا! أو، ليس دائماً ... هنالك أشخاص يتمالكون أنفسهم خارجياً أكثر من غيرهم ومع ذلك فانهم غير مزكين أمام الله مثل أولئك الذين يمتلكون الحياة الداخلية ولكنهم لا يمتلكون المظاهر، أو مثل الذين لديهم الارادة الطيبة ويجاهدون.

لا تحكموا بحسب الظاهر، بحسب الوجه، يقول سيدنا يسوع المسيح: الخارج دون روح الرب جسم بلا روح.

الابتداء من الخارج بناء في الهواء، دون أساس، انه خلق آلات صماء.

يجب قبل كل شيء وضع الايمان في قلوب الناس ومحبة الله، تلك هي الماوية الداخلية. الروح هو الذي يحيي، أما الجسد فلا يجدي نفعاً. (يو 6: 63)

ليس الخارج أكثر من ثوب نلبسه. قد يكون جميلاً ومطابقاً للشخص ولائقاً به وناعماً وغالي الثمن الا انه لا يمنح الصحة. ان اراد الطبيب أن يتعرف الى صحتك فلا ينظر الى ثيابك بل يجس نبضك وينظر الى لسانك ويتأكد من انتظام الحركة الدموية ... في هذه الأشياء تكمن صحتك وقوتك وحياتك.

أما الخارج فهو كلا شيء ولا يقرر صحتك ولا حياتك.

هذا لا يعني انه علينا أن نهمل الخارج والا تتطلب منه بعض الشيء. كلا! لا بد من الترتيب والانتظام، الا أنه يجب التأسيس عل الداخل أولاً، على الماوية الروحية التي يجب أن تعطي الحياة للخارج، والا فإننا لا نعمل ما هو متين ولا ما هو حقيقي ودائم.

قال يسوع للفريسيين بهذا الصدد: هذا ما كان يجب أن تعملوا به من دون أن تهملوا ذاك.

(متى 23: 23)

أليس هذا ما نلاحظه في مسلك يسوع المسيح مع رسله؟ يختارهم أولاً. ثم نراه، في السنوات الثلاث التي قضاها معهم، يثقّفهم ويدرّبهم على الحياة الانجيلية والرسولية. انه لا يحاول بتاتاً أن يعوّدهم على مظاهر خارجية أو منتظمة. كانوا يحيون حسب الظروف وعلى قدر استطاعتهم.

الا اننا نراه مهتماً جداً بتربية حياة رسله الداخلية ويعلّمهم باستمرار، ويراجعهم دوماً على أخطائهم ويربيهم في كل شيء.

وفي الوقت الذي كان يبثّ فيهم مبادئ الحياة الانجيلية الكبرى والكاملة كان يجعلهم ينفّذون ما يتعلمون.

لم يعطهم نظاماً آخر غير هذا: اتبعني فأنا قانونك وحياتك ومَن يجب أن تقتدي به. هناك من يبدأون بأنظمة خارجية ويسنّون قوانين عديدة ... كل هذا لا يجدي نفعاً. القانون الوحيد الذي يجب أن نسنّه هو هذا: اتبعني، اقتدِ بي، اني لا أطلب منك أن تتم ما لم أفعله أنا.

"اتبعني". تلك هي القاعدة الكبرى.

كان يسوع يراجع رسله كل حين، ويدرّبهم على كل شيء.

التعليم والمراجعة والتطبيق العملي والحث على العمل ... هذا هو الاسلوب الفعال لنعلّم الناس ونعطيهم الحياة الداخلية.

أما اذا وضعناهم ضمن اطار ذهبي، في محراب، وأعطيناهم قالباً معيناً، فإننا نحطم ارادتهم ونكبت فيهم عيوبهم دون اصلاحها.

لا بد من أن تترك العيوب تظهر لكي تكون لنا مناسبة لمراجعتها واصلاحها. ان أجبرنا الناس على اخفاء عيوبهم فإننا نجهلها ولا يمكننا حينئذ اصلاحها.

أنتم تلاميذي ان أحببتم بعضكم بعضاً. هذا هو مبدأ عملنا. روح يسوع المسيح في المحبة. هنا مبدأ الحياة الصادر عن الروح القدس، المحبة بالذات.

كان الجميع يركضون نحو يسوع لسماعه وللشفاء وللتخلص من الشيطان، فيجب أن يأتي الناس الينا لكي يسمعونا ويستشفوا ويتخلصوا من الروح النجس. هذا ما يجب أن يجذب الناس الينا، هذا ما يجب أن يقود الينا الجموع، وليس بالوسائل الخارجية التي يمكننا أن نستعملها بعد فترة طويلة من الزمن. كان في الديناميس المظلمة مسيحيون حقيقيون أكثر مما يوجد في كنائسنا الجميلة.

هناك من يُهلكون أنفسهم ويستعملون الوسائل الخارجية لكي يجذبوا البشر اليهم ويتوهمون أنهم يوصلونهم الى الله. انهم على ضلال كبير ويناقضون الانجيل. فليعتبر اذن من اراد أن يؤسس مشاريع روحية ... ت ح 219 – 223

لم يستعمل سيدنا يسوع المسيح أية وسيلة خارجية لكي يبني الكنيسة، ذاك المشروع الأسمى في العالم، أعظم مشروع للعلي القدير. لقد اختار انساناً بثَّ فيه حياتنا وروحه، ثم اختار اثني عشر آخرين درّبهم على الحياة الانجيلية، لا في ثكنة ولا في صفوف منتظمة تحت راية. انه لم يبنِ داراً ولم يقرع الطبول ولم يقم الحفلات الموسيقية ولم ينظم الحفلات الفنية. بل بالعكس منعهم أن يستعملوا أية وسيلة خارجية، لا مالاً ولا هيئة جذابة. ها أنا أرسلكم كخراف بين ذئاب. اذهبوا علّموا ... عظوا، علموا، اشفوا ... كانت تخرج منه قوة تبرئ الجميع. (لو 10: 3 ومتى 28: 19 ولو 6: 19)

لا تؤدي الوسائل الخارجية الى غاية، بل الصليب والألم والنعمة والصبر.

يجب علينا أن نقدم مشهداً للعالم: يوم نسكن في كوخ حقير [1] ونحيا على الصليب ونترك أنفسنا نؤكل كل يوم كيسوع المسيح، يومذاك نهدي العالم الى الله.

"محبة الله والقريب .. ذاك هو المبدأ والماوية التي يجب أن تبدع فينا كل شيء. عندما تحصل النفس على تلك الماوية يصبح لديها كل ما هي بحاجة اليه.

انني أفضّل محبة بدون مظهر خارجي على مظهر خارجي بدون محبة. اني أفضّل الفوضى مع الحب على النظام بدون حب.

هذا ما عبَّر عنه خوري آرس بجملة غريبة وهازئة اذ تكلم على بنات ميتمه الصغيرات اللواتي ربَّتهن الآنسة كاترينا دون أن تعرف الأساليب الادارية والتنظيمية، لقد قابل خوري آرس بينها وبين الاسلوب التربوي الجديد الذي أدخِل رغماً عنه في ميتمه عندما تنازل عنه لأيدٍ أخرى "ماهرة" قال: ما أحب على قلبي الفوضى السابقة! أي أنه كان يستعذب حياة الأولاد الذين كانوا يقومون بأعمالهم من كل قلوبهم، وليس بموجب "الصفارة". كانوا يتراكضون نحوه ويحبونه ويعيشون معه حياة عائلية، لا حياة كتيبة عسكرية.

نصوص تؤيد هذه النظرية:

ملكوت الله في داخلكم (لو 17: 21)

الروح هو الذي يحيي، أما الجسد فلا يجدي نفعاً. (يو 6: 63)

مرتا، مرتا، انك في همّ وارتباك بأمور كثيرة مع أن الحاجة الى أمر واحد، فقد اختارت مريم النصيب الأفضل ولن ينزع منها. (لو 10: 41 – 41)

فان الرياضة البدنية فيها بعض الخير، وأما التقوى ففيها خير لكل شيء لأن لها الوعد بالحياة الحاضرة والمستقبلية. (1 تيمو 4: 8)

بل طوبى لمن يسمع كلام الله ويحفظه.

(لو 11: 28)

علينا ألا نهتم كثيراً بالقشور.

كثيرون لا يفكرون الا بالقشور ولا يرون الأَها ولا يحكمون الا بموجبها.

لا بد من القشور لحمل الماوية وايصالها الى الثمار. ولكن ما قيمة القشور دون الماوية؟ انها شجرة ميتة ...

نعم لا بد من حماية قشور الشجرة ولكن الأهم من ذلك هو الري والتسميد للحصول على الماوية الصالحة للشجرة فتصبح شجرة جميلة وعظيمة ... الاهتمام بالجذور هو الاساس ...

م 11 ت ح 223 – 224

[1] جاء في النص الفرنسي حرفياً: يوم نسكن في اسطبل ...

❖ "ولكن وجود الروح القدس نادر في العالم" هذا ما كان يحزُّ في قلب مؤسس البرادو:

"نعم ان روح الرب نادر الوجود لأنه من الصعب جداً أن يترك المرء كلياً منطقه وعلمه وحياته الطبيعية وعيوب تفكيره لكي يمتلئ من روح الله ولكي لا يتصرف الا حسب هذا الروح.

انه لمن الصعب أن يتحد الانسان بالله حتى انه يصبح واحداً معه. صعب على الانسان أن يتضع وأن يصمت وأن يصبح صغيراً ووديعاً لكي يستقبل الهامات الروح ويتبعها. فان هذه الإلهامات لطيفة وغير محسوسة أحياناً، ان لم نقل دائماً، حتى انه ليصعب على المرء أن يشعر بها أو أن يفهمها أو أن يقبلها. فإن العلم والمنطق والعالم يضجّون حولنا وكذلك العادات حتى انه ليصعب علينا جداً أن نسمعه وأن نتبعه بشكل كامل.

فكي نحصل على الروح القدس لا بد وأن نترك هذه الحياة الطبيعية التي تلفّنا وتقودنا، لا بج وأن نتصارع طويلاً ضد عيوبنا الروحية والجسدية، لا بد وأن ندرس طويلاً الانجيل المقدس، لا بد وأن نصلي طويلاً لنحصل عليه. ما أندر هؤلاء الذين تمموا هذه الشروط! ...

زد على ذلك أن الحياة الطبيعية هي قوية فينا حتى ان الحياة الروحية مهما كانت سامية ومضادة للطبيعة فإننا نميل الى اعتبار الهامات الروح القدس مستحيلة بل وهمية. ان تعاليم الانجيل الأساسية والمشورات الانجيلية نعتبرها غالباً وكأنها أيضاً مستحيلة بل وهمية. ان تعاليم الانجيل الأساسية والمشورات الانجيلية نعتبرها غالباً وكأنها أيضاً مستحيلة ونفضّل أن نتبع الطريق العادية من أن نعتنق الطريق السامية الجافة غالباً بالنسبة للطبيعة البشرية، والتي تأتينا من الروح القدس. ثم اننا نقتل الانجيل كلياً بالمنطق واننا لنجد دوماً الوسيلة لكي نخفف من حدة الانجيل ونعود الى الحياة الطبيعية.

ان المنطق يقتل الانجيل ويهدم كل ما هو سام وعظيم وروحي في المشورات الانجيلية وفي أوامر سيدنا يسوع المسيح. كما في ما يخص الفقر والتجرد والمحبة والزهد والاماتة والتكفير.

لذا فحين نَجِدُ شخصاً على الأرض حاصلاً على روح الله نَجِدُّ في طلبه، ونسعى وراءه! نبحث عن هذا الروح، عن هذه النصائح الآتية من علُ، ونشعر حينئذ أننا مع الله وأن السماء حلّت على الأرض. ذلك نادر مع أن الأمر يتعلق بنا اولا وأخيراً، اذا حققنا الانجيل في حياتنا.

"روح الله! انه الكنز الأثمن الذي يستطيع الرب أن يمنحنا اياه. وانه الكنز الأثمن الذي يستطيع الرب أن يبثّه في بعض الأشخاص لكي يستطيع الآخرون أن يروه ويستشيروه ويتبعوه ويستفيدوا منه. لنسأل الرب روحه ولا نملّ من طلبه من أجلنا ومن أجل الآخرين"

ت ح 228 – 229

❖ نحن هنا في قلب عقيدة الاب انطوان الروحية. واذ نصل الى هذه النقطة بالذات نلمس الانسجام الكامل في مبدأه: معرفة يسوع المسيح والعبادة للروح القدس ومن ثم تبشير المساكين ... تلك هي أفكار ثلاث يحسن بنا أن نضعها جنباً الى جنب:

"معرفة يسوع المسيح ... هذا هو الأمر الأهم .. هذا كل شيء ...

"الحصول على روح الرب .. هو الأمر الأهم .. هذا كل شيء".

"شيء واحد فقط ضروري: محبة الله بالنسبة لكل واحد منا".

"تثقيف المساكين ... وكل الباقي يعتبر كلا شيء. م 12

❖ وهكذا فإننا نفهم أيضاً الأهمية القصوى لدراسة الانجيل التي بواسطتها ندخل في معرفة يسوع المسيح، فننفتح على الروح القدس، ونستعد لتبشير المساكين.

"كيف يمكننا الحصول على روح الرب؟

بدراسة الانجيل الكريم وبالصلاة كثيراً.

يجب قبل كل شيء قراءة الانجيل المقدس باستمرار والتشرب منه ودراسته وحفظه غيباً.

يجب أن ندرس كل كلمة، كل عمل، لكي نفهم المعاني الدقيقة ثم نُدخلها في أفكارنا وفي أعمالنا.

ولا بد من أن تتم هذه الدراسة في التأمل اليومي، وأن يدخل يسوع المسيح حياتنا.

علينا أن نصلي المسبحة وتتلو رتبة درب الصليب وندرس تعاليم سيدنا يسوع المسيح ... وفي كل هذه الفروض الروحية اليومية نجد بعض أنوار الروح القدس ونصل رويداً رويداً الى أن نجعل حياتنا على مثال حياة يسوع.

لا بد من صلاة مستمرة، لا بد من التعبد اليومي للروح القدس، أي اننا بعد الغداء تتلو صلاة "تعال أيها الروح الخالق" ثم سبع مرات السلام الملائكي اكراماً لمواهب الروح القدس السبع.

ولنكرر غالباً هذ الدعاء: "الهي، أعطني روحك" لكي نعمل دوماً ونحن متحدون بروح يسوع المسيح، معلمنا ونورنا. م 11 ت ح 234

II "لنحيَ بحسب الروح"

❖ اننا نستطيع بهذا التعبير الكلاسيكي الذي استعمله الاب انطوان شفريه أن نفهم جيداً معنى أنواع التجرد. قيل أحياناً ان عقيدة الاب شفريه الروحية سلبية أو تظهر سلبية لأول وهلة. ان كل انسان يبقى حراً في أن يفكر كما يحلو له وأن يختار أساتذة روحيين أخرين، غير اننا قد تفاجأ بالخيبة نفسها ان التجأنا الى الآباء الروحيين الذين أقرت الكنيسة تعليمهم. نعم ان تعابيرهم خشنة غالباً، بيد انهم يؤكدون جميعاً الحقيقة نفسها: الزهد الكامل بالذات ضرورة حتمية للوصول الى القداسة التي ليست الا الاقتداء بالمسيح يسوع.

"ان المعركة من أجل القداسة تقوم على جدية الالتزام بها. وان الخبرة لخير دليل على ذلك: لندرس حياة "القديسين الناقصين" وأعني بذلك هؤلاء الكهنة والرهبان والمؤمنين العاديين، الممتازين بسيرتهم، والحارين بتقواهم، والمتفانين بحماسهم ... الا انهم جميعاً لم يصبحوا "قديسين" بحصر المعنى. نلاحظ ان ما ينقصهم ليست حياة داخلية عميقة، ولا حب قوي لله والنفوس، ولكن فقط نوع من الاكتمال في نكران الذات، ونوع من العمق في التجرد، ونوع من كمال نسيان الذات ... هذا ما يدهشنا في "القديسين" الحقيقيين. ان حب الله وتمجيده والتفاني في سبيله والعمل من أجله والموت في خدمته ... كلها أمور تجذب النفوس السخية. أما الموت الكامل عن الذات، في الخفاء، وفي صمت النفس الداخلي، والتجرد الدائم، بالنعمة الالهية، عن كل ما ليس ارادة الله الصرفة وخدمته هو فقط ... هنا تكمن التضحية السرية التي تنفر أمامها أكثر النفوس، وهنا بالذات مفترق الطرق بين حياة تقية حارة وبين القداسة الحقيقية".

(جيبير: قاموس الروحانيات)

لنقل بصراحة: ان أردنا أن نصير روحانيين فعلينا أن نزهد بذواتنا؛ لماذا نخفي الحقيقة؟ والزهد بالذات هذا يتعدى فكرة الابتعاد عن الخطيئة، لأن مسيرة على خطى المسيح.

"فمع أنه في صورة الله، لم يعد مساواته لله غنيمة، بل تجرد من ذاته متخذاً صورة العبد، وصار على مثال البشر، وظهر بمظهر الانسان. فوضع نفسه واطاع حتى الموت، الموت على الصليب. (فيليبي 2: 6- 8)

غير أن عبارة "نصير روحانيين" تعني أيضاً أن نختار التشبه بالمسيح يسوع وأن نرغب مثله في التضحية، تكفيراً عن خطايا العالم. فلا بد من أن نتذكر ذلك عندما نتطرق الى أنواع الكفران بالذات عند الاب انطوان شفريه.

لا شك في أن الاب شفريه يلح على الكفر بالخطيئة والابتعاد عنها، خطيئتنا الشخصية وكل ما يحملنا اليها؛ غير انه في كل مرة يتكلم على نكران الذات، لا ينزع نظره عن المسيح في جماله الانجيلي. لذلك فان هذه الصفحات تكشف لنا عن نفس عظيمة نادرة. ويظهر أن الكفر بالذات انما هو اختيار يسوع

المسيح في كل شيء بسبب عظمته اللامتناهية، وهو بالتالي اختيار"، مع يسوع المسيح، لطريق التضحية الكاملة للانتصار على خطيئة العالم: "بل تجَّردَ من ذاته ... لذلك رفعه الله ووهبه الاسم الذي يفوق جميع الاسماء ... (فيليبي 2: 9)

III الجسد قربان حي

❖ يستعمل الاب شفريه حين يتكلم عن الجسد والروح، التعبير المتداول الذي يميز في نشاطنا مضمارين: مضمار النشاط المشترك بيننا وبين جميع الكائنات الحية ولنسمِّها الحياة الحيوانية، ومضمار النشاط الخاص بالإنسان في هذا العالم، ولنسمِّها حياة الروح، أي الفكر والارادة.

ان أول ما يجب قبوله والاقتناع به لنصير روحانيين هو أن الجسد في خدمة الروح وعليه أن يخضع لها.

"ليس للجسد أن يأمر بل أن يطيع.

علينا أن نعتبر جسدنا كخادم وليس كسيد. عليه أن يخضع للروح. ليس الجسد الا وسيلة علينا أن نستخدمها للعمل ولكل الأمور الخارجية التي يمكنها أن تؤول لمجده تعالى ولخير النفوس. هو خادم عليه الطاعة وعلينا أن نقوده ونوجهه كما نقود حيواناً وكما نأمر خادماً. ان أعطينا الخادم حرية زائدة فقد يستغلها ولا يعود يطاق، ويعمل من ثم لا نريده. م 11 ت ح 173 - 174

❖ وهذا نص آخر يعبّر عن احترام الاب شفريه لجسدنا، كما انه يعبّر عن السمو الذي يكنّه لموضوع نكران الذات.

"الجسد للرب كما الرب للجسد، أي اننا للرب، وليس لأحد سواه الحق في أن يقيم فينا، لأنه وحده سيد أجسادنا، هو وحده لا يلطخها، كما أن أشعة الشمس لا تلطخ الماء التي تنتشر فيها بل بالعكس فهي تنيرها وتجمّلها. هكذا الرب. أما اذا وقع جسم غريب في الماء فهو يعكرها ويجعلها تضطرب. كذلك تفعل الخلائق الغريبة عندما تدخل قلبنا.

الجسد للرب، أي أنه لا يخصّنا. فعلينا اذن أن نستخدمه لمجده تعالى وليس لذواتنا فقط جاعلين منه وسيلة اللذة والمسرة. م 11

❖ أما في الفقرة التالية فإننا نتطرق الى موضوع الفقر. وذلك ليس غريباً لأن الحياة الروحية مترابطة. وهنا يظهر المرجعان الأساسيان اللذان يعود اليهما باستمرار الاب شفريه: يسوع والفقراء.

هل من الضروري أن نذكّر القراء أن الاب شفريه لم يلغِ مائدة الطعام في البرادو، وانه غير مصيب دائماً عندما يصف لنا حياة الجنود، ذلك لأنه لم يؤدِّ خدمته لعلم بلاده ...

"لنأكل بسرعة وبدون تكلّف.

يظهر لي أن الأكل وظيفة علينا أن نتممها سريعاً ودون أن نعتني بها كل هذا الاعتناء.

أليس واضحاً أننا نعطي هذه الوظيفة الحيوانية أهمية زائدة؟ الاعتناء بموائد الطعام والآنية والشراشف والأوعية الثمينة والمختلفة لجميع أنواع الخمور ... ما أبعد هذا كله عن البساطة والاماتة! وكم

يحيا الفقراء بصورة أكثر بساطة! انهم لا يبذلون كل ذلك الاعتناء بموائدهم. طاولتهم رُكَبُهم! وكرسيُّهم خوان" صغير أو حجر، أما أوعيتهم فصحون من الفخار أو الخشب، ولهم أخيراً حائط يسندون اليه ظهورهم المتعبة من العمل. وماذا تجد على مائدتهم؟ الحساء وقليلاً من البطاطا والجبن والخضار وأحياناً اللحم. آه! لو كنا نستطيع أن نحذو حذوهم وأن نأكل كالفقراء! أما كان سيدنا يسوع المسيح يأكل غالباً بل ودائماً تقريباً كفقير، حين كان جالساً على حافة بئر يعقوب وقال له التلاميذ أن يأكل. وحين فرك التلاميذ بين أيديهم سنابل القمح وأكلوها. ألم يأكل كفقير حين فتش عن التين في الشجرة ليغتذي به! ...

ذلك لأن هذا الغذاء الجسدي ما كان يهمه كثيراً. كان لديه طعام آخر يغذي به روحه. ان لي طعاماً لا تعرفونه أنتم.

لنترك اذن للعالم، للبرجوازيين، ذاك الاعتناء بالموائد، والاهتمام بها والعمل من أجلها، لنترك لهم تلك الاحتفالات التي يكرسونها لتغذية هذا الجسد المسكين.

لنكتفِ بالقليل. لنأخذ ما هو ضروري ولنتحاشَ تلك الاحتفالات المتداولة عند الأغنياء والبرجوازيين. لنأكل كالمسافرين والفقراء.

آه! ما أبسط وأفقر أن نطبخ كل شيء في طنجرة كبيرة: اللحم والخضار، كالجنود. ثم نضع الطنجرة على الطاولة ونغرف منها ما نحن بحاجة اليه، ثم نأكل وقوفاً ونحن مستندون الى حائط أو جلوساً على خوان، كالفقراء والمسافرين!

أليس ذلك أكثر بساطة وفقراً وألماً؟ ألا يفعل الجنود ذلك، ومع هذا كله نراهم أصحاء. ألسنا نحن جنود الرب؟ وحين نحتقر هكذا ذاك الطعام الأرضي والمادي يمكننا أن نقول كسيدنا يسوع المسيح: ان لي طعاماً لا تعرفونه أنتم، طعامي أن أعمل مشيئة ابي.

م 11 ت ح 187 – 188

❖ كان الاب شفريه يحب أن يردد جملة يسوع هذه: ان لي طعاماً لا تعرفونه أنتم، طعامي أن أعمل مشيئة أبي (يو 4: 33) وكان يلح على الفكرة وقد برهن انه كان يحياها.

تقول لنا الاخت انطوانيت: "كان الاب انطوان يقول لي أحياناً رغم صحته النحيفة: عندما أتأخر عن الغداء أو العشاء، ضعي كل ما أحتاج اله في وعاء. هكذا يفعل الفقراء. وعندما كان يأتي ليتناول عشاءه كان يبقى واقفاً في احدى زوايا المطبخ واذ كنت أحاول أن أهيئ له مكاناً كان يقاطعني بقوله: اني مرتاح هكذا، أليس هذا أكثر بساطة؟ ثم يذكّرني بالأب فياني، خوري آرس، مثالاً عن الفقر".

❖ ولكي ننهي هذا الفصل في نكران الجسد، اليكم الآن ما يمكننا أن نسميه "مصير الجسد". نحن هنا في نهاية روحانية الجسد الذي أصبح وسيلة صرفة تُظهر يسوع المسيح وتتم عمل الله.

"ان شئنا أن نحيا كالسماويين علينا أن نميت الانسان الأرض الذي فينا، أن نلاشيه بقدر ما نستطيع.

علينا أن نجعل من أجسادنا قرابين حية تحمل موت يسوع المسيح كي تظهر من خلالها حياته الالهية.

نصبح قرابين حية ان ذبنا من أجل الله كضحية تقرّب كل يوم، وكشمعة تذوب بالنار. وكما أن البخور يفنى وهو يحترق، ويتلاشى وهو يعطر الأجواء ... كذلك يجب أن ينشر كل ما فينا رائحة المسيح الطيبة، ويُظهِر للعالم تلك الحياة الالهية التي يجب علينا أن نحياها في الداخل.

يجب أن نقدم الله كياننا كله ذبيحة طاهرة كي يظهر يسوع المسيح.

نحن أعضاء يسوع المسيح فلا بد اذن من أن يراه الناس في أعضائنا، وفي ظاهرنا كله. ولا بد اذن أيضاً من أن نخلع من ظاهرنا هذا كل ما يحقّر هذا اللقب.

يجب أن يظهر يسوع المسيح من خلال ظاهرنا، من خلال وقفتنا ومسلكنا وأقوالنا وأعمالنا، ومن خلال أيدينا وأرجلنا وأعيننا ورأسنا، من خلال شخصنا بأسره، لأن كياننا كله يجب أن يكشف عن حقيقة يسوع المسيح وأن ينشر رائحة فضائله الزكية.

الجسد تعبير عن الروح. به نهدي الآخرين وبه أيضاً نعثّرهم. لا يرى المؤمنون الروح انما يرون الجسد فقط.

فبجسدنا اذن يجب أن نهدي القريب وأن نُظهِر يسوع المسيح الساكن فينا. لست أنا الذي أحيا انما المسيح هو الذي يحيا فيّ. م 11 ت ح 197 – 198

❖ ولكن يجب أن نبدد بعض القلق والارتباك: كيف يعيش مع الآخرين انسان" لديه مثل تلك الأفكار! اليكم بعض الشروح:

كتب الى الإكليريكيين في حزيران سنة 1872:

... لقد أخبرتموني أن صحة صديقنا دولورم تتحسن، الحمدلله! اعتنوا به جيداً ولا تخافوا من بذل المال الضروري ليستعيد صحته كامله. وعنما يقع أحدكم في المرض امتلئوا لطفاً ومحبة في خدمته، وابذلوا كل المال اللازم والضروري للمحافظة على الصحة لتعملوا بشجاعة لمجده تعالى. لا بد للعامل الصالح من صحة جيدة، رغم أن المتألمين أيضاً يمجدون الله كالآخرين بسبب تقدمة آلامهم لله يومياً.

أثناء لعطلة سنحاول أن نقوّي صحتكم التي ربما ساءت بسبب حرارة الطقس والدروس الكثيرة. لدينا، لهذه الغاية، ليمونه وشاتانه وسان فون. كل شيء في سبيل الله، كل شيء في سبيل مجده: العمل والعُطل والفُرص. كل شيء في سبيل الله وخلاص النفوس.

❖ كما كتب الاب شفريه رسالة الى الاب جاريكو في أيار 1869 يقول فيها:

"... أعط المرضى خمراً ولحماً كلما كان ذلك ضرورياً. اننا لا نأخذ الأولاد لكي نعذبهم. بل انها لخطيئة بالنسبة الينا ان لم نعطِ ما هو ضروري لمن نحن مسؤولون عنهم. سيحاسبنا الله عليها. عوّض عن تقتير ميلاني وبخلها" وتقول الاخت انطوانيت:

"عندما كان الاب انطوان يسمع أحد أولاده يسعل، كان يأتي ليقول لي، حتى في الكنيسة: يجب أن تعطي هذا الولد حليباً ساخناً انه يسعل بشدة. وهو نفسه كان يطلب مني المزيد من الطعام ليحمله الى الأولاد. وعندما يمرض أحدهم كان الأب انطوان يزوره غالباً ويستفسر دوماً عما اذا كان ينقصه شيء. ثم انه ما كان يرضى أن يحرم المريض من القربان الأقدس، بل كان يحمله اليه أو يطلب من أحد الكهنة أن يقوم بهذه المهمة".

❖ أخيراً، ها بعض عناوين الفصل الذي يتكلم على الجسد في كتاب "التلميذ الحقيقي ليسوع المسيح" (ص 173 – 201)

1) لا يسودن جسدُنا علينا
2) الابتعاد عن عبادة الجسد
3) الزهد بالجسد هو الزهد بخطايا الجسد
   - الابتعاد عما يعكر طهارتنا
   - الابتعاد عن أسباب خطيئة الجسد
   - الزهد في العواطف البشرية الشهوانية
   - الحشمة بالنظر
   - تحاشي العلاقات غير الضرورية مع النساء
   - لا زيارات للنساء من دون ضرورة
   - تحاشي الاستهتار مع النساء
   - رفض الهدايا من قبل النساء
   - تحاشي زيارة الراهبات التي لا ضرورة لها
   - الابتعاد عن كل كلمة ملتبسة أو غير شريفة
   - ما أصعب الحفظ على الطهارة!
   - الوسائل للحفاظ على الطهارة: الفطنة، الصلاة، العمل، التكفير، تعظيم فضيلة الطهارة، تجديد تكريس جسدنا وقلبنا من حين الى آخر
4) الابتعاد عن الشراهة
5) الابتعاد عن الكسل والبطالة والنوم الطويل والميوعة
6) تكريس الجسد والذات للعدل والخير والفضيلة
7) تقويم عيوب الجسد والطباع ليظهر يسوع من خلالنا

بعض الالتزامات

ا الطاعة

❖ عندما يتكلم الاب شفريه مع من يريد أن يعيش في البرادو فانه لا يميز بين الطاعة المفروضة على الجميع تحت طائلة الخطيئة وبين المشورة الانجيلية التي يلتزم بها البعض والتي تجعلهم أن لا يقرروا شيئاً الا بعد استشارة رئيسهم، حتى في الأمور البسيطة.

أما التعابير التي يستعملها الاب شفريه فواضحة حتى اننا لا نستطيع أن نشكّ في أهمية الطاعة: انها تكمّل العمل لكي نصبح روحانيين، وهي بمثابة تأكيد على كل أنواع التجرد. غير أن الاب انطوان متيقظ دوماً ليجعل فضيلة الطاعة الروحية تنبع من داخل الانسان.

وفوق ذلك انه يلح على النشاط الرسولي الذي يجب أن تحثّ عليه فضيلة الطاعة: الطاعة هي أن نبدأ بالعمل وأن ندفعه حتى النهاية، كما كان يسوع يقول: طعامي أن أعمل مشيئة من أرسلني وأتمم عمله. (يو 4: 33) "فوضع نفسه وأطاع حتى الموت، الموت على الصليب" "سمعت غالباً الاب شفريه يقول في التأمل: الهي ها تلميذك آتٍ ليأخذ منك الأوامر. اجعله يعرف مشيئتك ليتمّها.

كان يحاول دوماً أن يعرف مشيئة الله، ويقول: "ولكن عندما نعرف ارادة الله علينا الا نتردد في تنفيذها" (الاخت فيرونيكا)

ما هو الزهد بالإرادة؟ ولماذا؟

هو الا نعمل بموجب ارادتنا الشخصية بل أن نُخضع ارادتنا لإرادة شخص آخر. وما ذلك الا لأن ارادتنا غالباً ما تكون مليئة بجميع عيوب الفكر وبجميع شهوات القلب. اننا لا نريد ولا نعمل الا بما يعرف فكرنا ويفهمه وبما يشتهيه قلبنا.

وبما أن فكرنا وقلبنا ممتلئان بالعيوب فينتج عن ذلك أن ارادتنا أيضاً تشوبها العيوب.

وطالما ان قلبنا لم يتطهر تماماً وفكرنا لم يستنر تماماً بالأنوار الالهية فان ارادتنا تبقى شيئة وخاضعة لكافة أخطاء الفكر ولكافة شهوات القلب، وأعمالنا اذن ستكون بعلاقة مع كافة هذه الشهوات المختلفة.

لذلك كله لا بد من أن نُخضع ارادتنا لإرادة شخص أعلى منا لئلا نعرّض أنفسنا لجمّ من الأخطاء والمساوئ. ت ح 251

أهمية التجرد

"التجرد عن ارادتنا عظيم الأهمية اذ ينتج عنه التجرد عن الفكر والقلب.

عندما نُخضع جيداً ارادتنا للرئيس، أو لأيّ كان نُخضع له بالفعل عيناه فكرنا وقلبنا فيصبح التجرد حينئذ كاملاً، لأن الارادة هي الأساس.

هذا هو الطريق الأقصر للوصول الى التجرد الكامل انه الأصعب أيضاً لأننا لا نضحي بإرادتنا بصورة كاملة الا بصعوبة. ولكن هذا ما يجب أن نفعل كي نصل حتماً وبسرعة الى الكمال.

لذلك أيضاً يُطلب بالحاح من الجماعات الرهبانية التعلق بالطاعة لأنها الطريق الأقصر للوصول الى القداسة. لكننا نزيد أيضاً اننا، بالطاعة، قد نخلق عبيداً ان لم تصحَب الطاعة معرفةُ يسوع المسيح ومحبةُ الله والايمان به. ولكن عندما يتحقق الايمان ومحبة الله والخضوع فعندئذ تتم فضيلة الطاعة.

ت ح 252 – 253

علامَ تقوم الطاعة؟

لا تقوم الطاعة الحقيقية على الكلام فقط بل على العمل. "ليس كل من يقول لي: ربِّ، ربِّ، يدخل ملكوت السماوات بل من يعمل مشيئة ابي الذي في السماوات. فسوف يقول لي كثير من الناس في ذلك اليوم: ربنا ربنا، أما باسمك نطقنا بالنبوءات؟ وباسمك طردنا الشياطين؟ وباسمك أتينا بالمعجزات الكثيرة؟ فأقول لهم علانية: ما عرفتكم قط. اليكم عني أيها الفاسقون. (متى 7: 21 – 23)

"واعملوا بهذا الكلام ولا تكتفوا بسماعه فتخدعوا أنفسكم. فمن يسمع الكلام ولا يعمل به يشبه انساناً ينظر في المرآة صورة وجهه فلا يكاد ينظر نفسه حتى يمضي، ثم لا يلبث أن ينسى كيف كان. وأما الذي يكبّ شأن من يعمل، لا شأن من يسمع ثم ينسى، فإنما هو يجد السعادة في الشريعة التي يعمل بها.

(يعقوب 1: 22 – 25)

ليس الذي يسمعون الشريعة هم المزكّين لدى الرب بل الذين يعملون بها. مَثَلُ الابنين: يقول لدى لأبيه: نعم يا أبتِ، ولا يفعل شيئاً، أما الآخر فيقول لا، ثم يعمل ما طلب منه والده. هذا الثاني هو الذي تمم ارادة الله وسينال المكافأة. (متى 21: 28 – 32)

كيف يجب أن نطيع؟

علينا أن نطيع بإيمان وخضوع ومحبة.

الايمان: لنتذكر أن رؤساءنا يحلّون محل الله وانهم يأمروننا باسمه واننا عندما نطيعهم ونطيع قانوننا انما نطيع الله نفسه: من سمع منكم فقد سمع مني، ومن احتقركم احتقرني.

الخضوع: خضوع داخلي سريع وكامل ... دون أن نحاول التملص من الأوامر لنفسّرها على هوانا... أو أن نتظاهر فقط بالطاعة. انما الاستسلام كالأطفال لأوامر الرؤساء: ان لم تعودوا كالأطفال لن تدخلوا ملكوت الله. وتقول الرسالة الى العبرانيين: "أطيعوا رؤساءكم واخضعوا لهم، لأنهم يسهرون على نفوسكم سهر من يحاسَب عليها، ليعملوا ذلك بفرح، لا بحسرة يكون لكم فيها خسران".

المحبة: كما يعلمنا بطرس الرسول في رسالته الاولى (بطرس 1: 22) "أطعتم الحق فطهّرتم نفوسكم كيما يحب بعضكم بعضاً حباً أخوياً صادقاً. فليحب بعضكم بعضاً حباً شديداً من صميم القلب فإنكم ولدتم ولادة ثانية ..." ت ح 258 – 259

لمن يجب أن نطيع؟

لسيدنا يسوع المسيح، للكنيسة، لرؤسائنا وللقوانين.

لسيدنا يسوع المسيح فانه بلا مراء المعلم الأكبر، هو الذي أوحى لنا ارادة الله على الأرض وجعلها تُكتب في الأناجيل المقدسة. انه مَلِكنا ومعلمنا ورئيسنا ومثالنا.

للكنيسة: المؤلفة من قداسة الحبر الأعظم البابا، الذي يمثّل لنا يسوع المسيح على الأرض، ومن أساقفتنا الذين يمثلون أيضاً الله على الأرض بالنسبة لنا، وباتحادهم مع قداسة البابا يسوسون الكنيسة المنظورة.

لرؤسائنا الذين عينتهم لنا الكنيسة والذين يتكلمون باسمها عن حق وجدارة: من سمع منكم فقد سمع مني ...

كم من الصعب أن يكون الانسان رئيساً: يجب أن يكون الرئيس ممتلئاً من روح الله وأن يعرف ارادة الله في كل لحظة وأن يجعل أتباعه ينفّذونها في كل حين ... يا لها من مسؤولية عظيمة ورهيبة! وأي اتحاد بالرب يسوع! ... فإن هذا الانسان المسؤول يجب عليه ألا يجعل أتباعه ينفّذون عملا الا اذا كان يسوع بالذات يريد ويشتهي أن يتم هذا العمل! ...

للقوانين: فإن قانوناً مستمداً من الانجيل ووافقت عليه الكنيسة هو أيضاً تعبير عن ارادة الله علينا.

هناك قانون الكنيسة العام الذي ينطبق على جميع المؤمنين المسيحيين ... فإن كل معمَّد عليه أن يطيعه ويأتمر به.

ولكن هناك أيضاً قانوناً خاصاً بالجمعيات والأديرة والرهبانيات والجماعات المسيحية ... كل هذه القوانين تؤدي أيضاً الى تمجيد الله وخلاص النفوس. فمن انخرط في احدى هذه الجماعات التي توافق الكنيسة على تنظيمها وعلى قوانينها يلتزم بقانون جديد وكأنه اختار هو نفسه اذ كان حراً في الانتساب الى هذه الجماعة أو عدم الانتساب اليها... فيجب والحالة هذه أن نعتبر أن قانون الجمعية التي انتسبنا اليها هو أيضاً تعبير عن ارادة الله ويساعدنا في تمجيد الله وخلاص نفسنا والوصول الى أهداف الجمعية. فبأي حب واحترام وخضوع الارادة يجب أن نلتزم بهذا القانون! ... ت ح 257 – 258

❖ أما في ما يخص طاعة الكاهن لذويه فان الاب انطوان يحذّرنا منهم بشدة لأنهم غالباً ما يتدخلون في أمور حياة ابنهم الكهنوتية بصورة منافية لارادة الرب اذ يعتبرون ابنهم الكاهن ملكاً لهم، فينظرون الى مصلحته الشخصية لا الى مصلحة الرسالة الموكلة اليه. فهم بنوع الاجمال يعرقلون مسيرته الكهنوتية ومسيرة كماله وقداسته. ويشرح الاب انطوان مطولاً ماذا يعني الرب يسوع بكلمته عندما قال: من أراد أن

يتبعني ولا يبغض أباه وأمه لا يستطيع أن يكون لي تلميذاً .. ومَن أحب أباً أو أماً أكثر مني فلا يستحقني ... فهو شديد الخوف من هذه العلاقة العائلية البحتة، ونحن نعرف كم قاسى من والدته بالذات في حياته الرسولية [1].

❖ ان الكلمات القليلة التالية من الاب شفريه تكمّل النص السابق، ولها طابع كهنوتي تظهر فيها الطاعة وكأنها حالة تقدمة وتضحية واشتراك في تضحية يسوع الكاهن والضحية.

❖ "ليست الطاعة كمال القداسة الشخصية فحسب بل انها تحقق ايضاً عمل التقديس فينا. فهي اذن الفضيلة الكهنوتية الممتازة:

علامَ تقوم الطاعة؟

على تقدمة ارادتنا.

على التضحية الكاملة بإرادتنا.

"ليس ما أريد .. بل ما تريده أنت .. لتكن مشيئتك لا مشيئتي". (متى 26: 39)

الحق الحق أقول لكم: لا يستطيع الابن أن يصنع شيئاً من عنده، الا اذا رأى الآبَ قد صنعه فما صنعه الآب يصنعه الابن على مثاله. (يو 5: 19)

هاءنذا آتٍ لأعمل مشيئتك يا الله. (عب 10: 9)

الامتناع عن العمل بدافع شخصي محض.

اني أعمل دوماً ما يرضيه. (يو 8: 29)

اني أعمل بما أوصاني الآب. (يو 14: 31)

لا أستطيع أن أعمل شيئاً من ذاتي. (يو 5: 30)

"من تلقى وصاياي وحفظها أحبني ومن أحبني أحبه أبي وأنا أحبه وأظهِر له ذاتي" (يو 14: 21)

"اذا أحبني أحد حفظ كلامي فأحبه أبي ونجيء اليه فنجعل لنا عنده مقاماً" (يو 14: 23) "اذا حفظتم وصاياي تستقرون في محبتي، كما حفظتُ وصايا أبي واستقر في محبته" (يو 15: 10)

ت ح 251 – 261

❖ يمكننا أيضاً أن ننقل أقوالاً كثيرة من الاب شفريه في الطاعة، غير اننا لاحظنا حتماً أن عقيدته في التجرد عن الفكر تتضمن كل مقتضيات الطاعة المُخلصة.

❖ اذا تكلمنا عن الطاعة فلنتكلم أيضاً عن الرئيس وصفاته لكي يعرف كيف يعطي الأوامر فيُطاع، خصوصاً وأن أكثر الكهنة في الرق، وعامة في الغرب أيضاً لهم مركز الرئاسة. اننا نكتفي بنقل ملخص رسالة الاب انطوان شفريه الى خلفه فرنسوا دوره، في ربيع عام 1879، عام وفاته:

"أخي فرنسوا دوره، رئيس البرادو.

---

[1] راجع كتاب "سيرة فقير: "أم لا كالأمهات" ص 22

لا بد لك من أن تتذكر أن ليس من معلم ولا رئيس في السماء وعلى الأرض سوى يسوع المسيح الذي أعطاه الآب كل رئاسة وسلطان. ولذلك فأي رئيس آخر ما هو الا ممثل ليسوع المسيح وما عليه الا أن يتصرف ويتحدث وهو دائم الاتحاد به، بنوع أنه يستطيع أن يقول بالحقيقة: لست أنا الذي يتكلم أو يأمر انما المسيح بواسطتي. هذه هي الحقيقة الاولى والأساسية التي عليك أن تتعمق فيها لكي تكون رئيساً صالحاً.

أما صفات الرئيس الصالح فهي الهدوء والرصانة والحكمة والفطنة وكتم الأسرار واللطف والصبر والحبة والوداعة والمسامحة والحزم والاستمرار ...

أما واجبات الرئيس فهي اعطاء المثل الصالح والتثقيف والمراجعة والسهر على تنفيذ الأوامر والمراقبة والنصح ...

وهو مسؤول أمام الله والناس ...

ان الرئيس الصالح هو خلاص" للنفوس ومجدُ الله والكنيسة. وكم يهدم الأنفاس رئيس" سيءّ ويهدم الجماعة المسيحية ويصبح عاراً على أهل بيته.

أما الأساليب للقيام بهذه المسؤولية العظيمة فهي الصلاة، يجب على الرئيس أن يصلي أكثر من الآخرين .. عليه أن يصلي في كل حين لكي يبقي على مستوى مهمته ... وهي أيضاً الاتحاد بيسوع المسيح ومحبة الله والنفوس". ت ح 527 - 531

II الفقر

❖ يقف المخطوط الرئيسي لكتاب الأب انطوان شفريه "التلميذ الحقيقي ليسوع المسيح" عند التجرد عن الذات. أما باقي كتاباته فهي محاولات متفرقة في مواضيع مختلفة لا نعرف تماماً كيف كان يريد أن يدخلها في وحدة متماسكة.

في موضوع الفقر، يظهر أن الاب شفريه كان حائراً بين اتجاهين: يعتبر الاول أن التجرد عن خيرات الأرض وسيلة للتحرر لكي نصل الى يسوع المسيح، فهو المظهر الزهدي في الفقر. ويعتبر الثاني أن الفقر تعبير عن الاتحاد بيسوع المسيح، واشتراك في عمله: اتّباع يسوع في فقره، وهو المظهر الروحاني والرسولي للفقر.

هل كان عازماً على كتابة فصلين متميزين؟ نجهل ذلك. غير اننا نقرأ في أحد دفاتره هذه العبارة: "اتبعني في فقري ... في هذا الدفتر ملخص لكل ما يختص بالفقر".

على كل حال هناك أمر أكيد يسيطر في كل كتابات الاب انطوان وهو أن المظهر الروحاني والرسولي، وهذا المظهر يتلاءم ونعمة عيد ميلاد سنة 1856 التي كانت، قبل كل شيء، القرار بأن يحيا فقيراً.

في النصوص التالية نلمس بوضوح هذه المواضيع الرئيسية: التأمل في يسوع الفقير، مشاركته بروحه .. محبة الرسول الشاملة:

"ما أطلبه منكم قد حققتُه في حياتي:
أردت أن أكون فقيراً،
اخترت لي أبوين فقيرين،
ولدت كفقير،
كان الفقر علامتي، طابعي المميز،
عشت مثل فقير،
اشتغلت مثل فقير،
وضعت نفسي في صفوف الفقراء،
تألمت مثل فقير،
تحملت الأوجاع كفقير،
لم كن لي مأوى مثل فقير،
سألت الناس مثل فقير،
سلكت في الحياة مثل فقير،

تمسكنت كفقير،

جعت مثل فقير،

عطشت مثل فقير،

كنت عرياناً مثل فقير،

متّ كفقير،

وكل ذلك لأني شئته،

كما أوصاني الاب كذلك أفعل.

م 12 ت ح 407 – 408

فاذا وُلدتَ هكذا فقيراً يا يسوع فلأنك تريد ان تعلمني ان الفقر هو الخطوة الأولى في الحياة الكاملة. لذلك فأنا أتقبل هذه الفضيلة الجميلة بفرح وحب وأريد أن أجعل منها فضيلتي المحببة والعزيزة. وسوف تكون الاولى بين الفضائل التي أريد أن أمارسها بما أنك أتيت اليّ بواسطتها وأنا أريد أن أذهب اليك".

(أعمال التطويب ص 146)

❖ وينقلب هذا التأمل صلاة حارة للتشبه بهذا الاله الذي افتقر من أجلنا لكي يغنينا:

"فضيلة الفقر! ما أجملكِ!

لقد وجدك معلمي يسوع المسيح بهذا المقدار من الجمال حتى انه اقترن بك حين نزل من السماء، وجعلك رفيقة حياته وشاء أن يموت معك على الصليب.

أعطني، يا معلمي، هذه الفضيلة الجميلة

هبني أن أفتش عنها بالحاح

وأن اتخذها بفرح وأن أقبلها بحب

لكي أجعل منها رفيقة حياتي كلها وأموت معها على خشبة مثل معلمي. ت ح 323

"جميع ما هو لي فهو لك وما هو لك فهو لي... وسيدنا يسوع المسيح يعبّر جيداً وبإيجاز كيف يجب أن نسلك بالنسبة الى خيرات الأرض عندما قال، متكلماً عن الروابط بأبيه السماوي، أو المشاركة القائمة بينهما: جميع ما هو لي فهو لك وما هو لك فهو لي. (يو 17: 10)

لا بد لنا، لكي ندخل في هذه الروح الطيبة، أن ننظر الى كل الأشياء على أنها لله وللفقراء. نحن لا نملك شيئاً، لا نختص بشيء أمام الله. نحن لسنا الا وكلاء الله وموزعي الخيرات على الفقراء.

يمكننا أن نستخدم هذه الخيرات حسب حاجتنا غير انه علينا أن نكون مستعدين للتخلي عنها لمن يسألنا اياها.

هذه الحالة النفسية المستعدة دوماً للعطاء هي التي تقتل فينا روح الأثَرَة المنافية للمحبة وللفقر وللخدمة وللتضحية.

ما أقبح أن نسمع، كل لحظة، في جماعات الاخوة بالمسيح، الذين يريدون أن يعيشوا حياة الفقر: هذا لي، هذه غرفتي وهذا سريري، هذه ساعتي وهذه طاولتي ... هذا لي، لا أحب أن تلمسه! ...

أما من دخل في روح المسيح فهو لا يتعلق بشيء: لا بأغراضه ولا بمسكنه ولا بأثاثه ولا بثيابه ولا بماله ولا بشيء بتاتاً، تلك الأشياء الأرضية التي يتمسك بها العالم كل هذا التمسك. شعاره: جميع ما هو لي هو لك.

ان جاءه مسكين وهو بحاجة الى شيء يقول له: تعال خُذْ غرفتي وسريري وثيابي ومالي، كل ما هو لي فهو لك. والذي يقول لفقراء الله: كل ما هو لي فهو لكم، فيتجرد هكذا كي يصبح في درجة أفقر الفقراء أنفسهم. كذلك القديسون الذين لم يحتملوا رؤية أناس أفقر منهم فأعطوا كل ما لهم، حتى لم يبقَ لديهم شيء يمكنهم عطاءه، فأعطوا حينئذ ذواتهم. م 12 ت ح 288

❖ اذا أردنا أن نحيا الفقر المسيح العميق لا بد لنا من النظر الى الفقراء الذين نود أن نبشرهم؛ وعلينا أن نتواضع حبا بهم، لأن الفقر الانجيلي الحقيقي هو أخو التواضع.

ما أجمل ذاك الانسان الذي لا يتمسك بشيء

يقول الأب شوفريه: "افتقر المسيح لأجلكم وهو الغني لتغتنوا بفقره" (2 كو 8: 9)

"فمع انه في صورة الله، لم يعد مساواته لله غنيمة بل تجرد من ذاته متخذاً صورة العبد وصار على مثال البشر، وظهر بمظهر الانسان فوضع نفسه وأطاع حتى الموت، الموت على الصليب". (فيلبي 2: 6- 8)

لنتذكر جيداً أن الفقر الاختياري لا يوازي فقر أمهات البيوت، وفقر العمال العاطلين عن العمل، فقر المحرومين من الغذاء والمسكن. لنتذكر جيداً أن الفقير الاختياري، الراهب مثلا، لا يمكنه أن يتألم كفقراء الأرض. لذلك كان القديس فرنسيس، الذي أحب الفقر بعمق، يتمنى حالة الفقراء ويجتهد في أن يتشبه بهم. م 10

من شاء أن يمارس فضيلة التواضع دون تصنّع أو تظاهر وفي الخفاء يختار الوظائف الأكثر ضعة والثياب الخشنة والمأكل الأقل لذة والأشياء الأقل جمالاً. انه يترك للآخرين ما هو أفضل ويختار لنفسه ما هو أحقر. أي حق لي في أن يكون مأكلي أفضل من مأكل الفقراء ولباسي أجمل من لباسهم ومسكني أفخم من منزلهم ... أنا الذي لست الا خاطئاً! ؟ ...

المتواضع الحقيقي يسر دوماً بكل شيء، يعتبر أن لديه دائماً أكثر مما هو بحاجة اليه. انه يعرف أن ينسى نفسه من أجل الآخرين.

❖ بينما كان الاكليريكيون الأوائل يقتربون من رسامتهم الكهنوتية نرى الاب شفريه، الذي يعرف أن أيامه معدودة، يلح بشدة على هذا الحب نحو الفقر والفقراء لأن الاخلاص لهما أو عدمه يعرّضان مصير البرادو ورسالته للخطر.

أبنائي الأعزاء تشرين الثاني 1876

سررت جداً أن أعلم أنكم حظيتم برؤية قداسة البابا بيوس التاسع، وأنه باركَكم، وأنه بارك فيكم الفقراء. هؤلاء الفقراء الذين عليكم أن تبشروهم وتعلّموهم. كما سررت أن نُبارَكَ فيكم. "بركة فقراء"! ما أصدق قول نائب المسيح ومطابقته لكلمة المعلم نفسه: طوبى للفقراء!. أجل! لنكن دوماً فقراء الله، لنبقَ أبداً فقراء. لنعمل مع الفقراء. ليكن الفقر والبساطة دوماً ميزة حياتنا وسنحصل هكذا على بركة الله وعلى بركة أبينا البابا. ما ألذّ أن نعمل مع الفقراء! اننا نشعر انهم أصدقاء الله واننا لا نضيع جهودنا. أحبوا اذن جيداً الفقراء والصغار. لا تحاولوا أن تستكبروا، أن تترفعوا، بل اسمعوا جهدكم لأن تصبحوا صغاراً الى حدً أنكم تصبحون متساوين مع الفقراء كي تكونوا معهم وتحيوا معهم وتموتوا معهم. ثم لا نهابن لوم الفريسيين للمسيح يسوع: ان معلمكم هو دائماً مع الفقراء والعشارين والفاسقين. انه لوم يشرّفنا عوض أن يحقّرنا. جاء سيدنا يسوع المسيح ليفتش عن الفقراء. "أرسلني لأبشر المساكين" (لو : 4 18). تعلّموا اذن أن تحبوا الفقراء كثيراً. ولتكن بركة أبينا البابا، نائب المسيح على الأرض ورئيسنا المنظور، علامة الرضى والأمل، ولتحبب اليكم الفقراء، ولتبقكم دائماً في الفقر المقدس.

أما بالنسبة الى الدرجات المختلفة التي كلمتموني عنها، فيظهر لي أن ذلك صعب نوعاً ما بسبب المدة التي يجب قضاؤها في روما. على كل حال، أن أحب أحدكم أن يضحي بذاته في سبيل الحصول على لقب دكتور، أسمح له بذلك شريطة أن يبقى متواضعاً والا يستعمل اللقب الا في خدمة الفقراء والصغار. سوف أفكر في الأمر وأستشير فيه فأرسل اليكم جواباً نهائياً في الموضوع بعد بضعة أيام، ان بقي ذلك ممكناً.

صلوا الى الرب لأجلنا أو بالأحرى واصلوا الدعاء من أجلنا. ابقوا متحدين في الصلاة، بالفكر والقلب، وشجعوا بعضكم بعضاً أكثر فأكثر على محبة سيدنا يسوع المسيح.

كم أود أن آتي اليكم، غير اني لا أعلم ان كنت سأستطيع الى ذلك سبيلا. آمل أن العناية الربانية ستوفر لي الوسيلة للوصول اليكم.

كلنا بخير والحمدلله. في بيتنا جمع غفير ونحن بانتظار سواعد جديدة لتعمل معنا فتوسع المشروع. كم من نفوس بحاجة الى خلاص والى تثقيف... صلوا كثيراً وجيداً واجتهدوا في تثبيت دعواتنا الجميلة على أساس تبشير الفقراء لأنها أجمل دعوة وأعذبها.

اني أصلي كثيراً من أجلكم. الجميع يهدونكم أجمل التحيات. أقبّلكم بأخوّة وحب، في قلب يسوع المسيح معلمنا الحقيقي. انطوان شوفريه

م 13

أصدقائي الأعزاء روما في 22/ 5/ 1877

المذبح الذي عيّنتموه لي في كنيسة القديس بطرس "محجوز" لأحد الكرادلة الذي سيقيم الذبيحة الالهية عليه يوم عيد الثالوث الأقدس. فأظن أنه من الأنسب اتّباع ما خطر لكم بادئ ذي بدء في اقامة قداسكم الاول في مقر الرسالة نفسها. ستكونون هناك في جو هادئ. وبما أن الآباء قد أعطونا كل ما نحن بحاجة اليه من تسهيلات فإنكم ستُعتَبرون كأبناء البيت، أما في مكان آخر فستُعتَبرون كغرباء. ثم لا تنسوا أن "ملكوت الله في داخلكم". حيث يسوع فهناك كل شيء.. ان كنتم حاصلين حقيقة على يسوع فسيكون لكم أكثر مما أنتم بحاجة اليه. لا نفتّشنَّ على الأرض عن أية تعزية. أراد البابا بيوع التاسع أن يقيم قداسه الاول في مستشفى. لنفتّشن نحن أيضاً عما هو صغير ووضيع ومستتر ... يجب أن يكون هذا حظنّا. يكفينا أن يكون يسوع وروحه معنا... هذا ما نصبو اليه.

في الأيام المقبلة يمكنكم أن تشبعوا رغباتكم الصغيرة، أما في المرة الاولى فيجب أن تسيطر فكرة يسوع على قلبكم كله وعلى جميع أفكاركم ... ما أعظمكم حين تصبحون كهنة! ... ولكن كم يجب أن تتصاغروا في الوقت عينه لكي تكونوا بالحقيقة مسحاء جدداً على الأرض. تذكروا انه عليكم أن تحيوا سر المذود والجلجلة والقربان .. وان هذه المراحل الثلاث يجب أن تكون علامات لكم كجراح المسيح التي سوف تحملونها في أجسادكم باستمرار. آخِر مَن على الأرض، خدام الجميع، عبيد الآخرين بالمحبة، آخر الجميع بالتواضع. ما أجمل هذا كله! .. ولكن ما أصعبه!.. اننا لا نفهم ذلك الا بواسطة الروح القدس. ليتكم تقبلونه بوفرة. ستحصلون على كل شيء ان استقبلتموه في رسامتكم. وأكون بالفعل قد حققت مشروعاً لائقاً بالله ان أوصلتكم الى المذبح، وسيكون لي على الأقل أبناء يصلّون من اجلي ويسألون لي من الرب النعمة والرحمة عندما سيدعوني اليه. وسأترك أبناء يكمّلون عمله المقدس على الأرض، ألا وهو مشروع تبشير الفقراء الذي كان مشروع المسيح الأكبر: لقد أرسلني لأبشر المساكين (لو 4: 18). ليتكم تفهمون ذلك جيداً فلا تُقلعون أبداً عن هذه الرسالة الجميلة التي كانت أيضاً رسالة القديس منصور ده بول، رسول المحبة.

لتكن لكم الثقة والشجاعة، والمحبة والفرح، السلام والتعزية، في ذلك اليوم الجميل الذي فيه سيجعل الله منكم ملائكة الأرض، رسل العلي، حُماة الخطأة، وكلا المواهب الالهية وموزعيها، أصدقاء الله والبشر الحقيقيين، أمثال بطرس وبولس، رسلاً جدداً في العالم ... ما أجمل أقدام المبشرين بالسلام! .. ان كانت أقدام المبشرين جميلة، فما أجمل القلوب أيضاً والأيدي والرؤوس وكل ما لا يلمس الأديم ...

اني أصلي من أجلكم وأحتفظ لنفسي ببركتكم الاولى. أنا لكم كلياً. غداً نصبح اخوة حقاً.

انطوان شفريه

م 13

❖ يتضمن الفقر، بكل معناه، مجمل الحياة الانجيلية. ونحن نعلم أن الاب شفريه لخَّص حياة الكاهن حسب الانجيل في ما نسميه في البرادو بـ "لوحة سان فون" بأجزائها الثلاثة: المذود والجلجلة وبيت القربان. أما سر الفقر فيوحي الينا بتجرد المذود وعريه: انه يكتب قائلاً:

"اننا سننزع من مسكننا كل ما هو ثانوي ونافل. لكي ندخل في روح يسوع المسيح هذا، لن نقبل في غرفتنا لا سجاداً ولا "موبيليا ولا مرايا ولا مقاعد كبيرة ومريحة، ولن نقبل المرمر ولا الأشياء المذهبة أو اللوحات الفنية ولا أية زينة قد ترضي العين والذوق أو كبرياءنا وأنانيتنا. سننزع من غرفتنا كل رفاهية. لِتَفُحْ منها رائحة بساطة مغارة بيت لحم وفقرها وألمها.

م 12 ت ح 291

❖ كما يوحي الينا سر الفقر بعذاب الجلجلة:

"ليشعر الناس عندما يدخلون غرفتنا بالفقر والبساطة والألم. لنشجب كل ما تشتم منه رائحة البرجوازية والرفاهية والنزف. ليقل الناس، عندما يدخلون غرفتنا: انه يتألم، عوض أن يقولوا: هذا جميل ... لا بأس بها من غرفة! .. م 12 ت ح 291

❖ ويوحي أيضاً سر الفقر بمحبة يسوع القرباني:

"وعندما يطلب أحدهم ان يستدين منكم مبلغ 100 فرنك، أفضّل أن تعطوه 50 فرنكاً أو 20، ان كان ذلك باستطاعتكم، ثم لا تطالبوه بها. بهذه الوسيلة قمتم بعمل صالح فلا تستردوه من هؤلاء المساكين الذين يعجزون عن الدفع، وفوق ذلك كله تحافظون على صداقة الجميع ومحبتهم. اما ان لم يُطلب منكم مال بل بعض الأغراض فقط كالأواني أو الثياب أو أي غرض آخر فليس هناك المحذور نفسه. ولكن، حتى في هذه الحالة، لا تعيروا للآخرين الا ما كان في نيتكم أن تعطوه حقاً، كي لا يخيب أملكم أن لم يُردّ لكم.

وان تممنا هذه الأقوال نمارس فضيلة الفقر الكامل بعمق. وان شئنا أن نصل الى الفقر الحقيقي ليس لنا الا أن نعير جميع من يسألنا وأن نعطي كل ما يُطلب منا. وتأكدوا أنه سرعان ما يتلاشى ما عندكم ...

م 11 ت ح 301

❖ ننقل الآن عدة فقرات تظهر فيها جميع المميزات التي نلاحظها في روحانية الفقر عند الأب شفريه: محبة يسوع، التعلق بالقيم الحقيقية، وخصوصاً عظمة الكاهن وترفّعه في رسالته، محبة رسولية نحو الفقراء، نسيان الذات ... وواقعية رائعة! ..

ان الأب انطوان يتكلم دوماً بإسهاب في الموضوع لأن أنوار الانجيل تقوده الى جوهر الأمور.

"الاكتفاء بالضروري: فاذا رُفعتُ من هذه الأرض، جذبت الي الناس أجمعين. (يو 12: 32)

"بما أننا لا نعرف أن نكتفي بما هو ضروري فنحن لن نبلغ الفقر.

اننا نبدأ بالفقر ... ولكننا نرى رويداً رويداً ان ذلك غير مريح، وغير كاف، أو غير متين وغير نظيف ... أو انه لا يدوم طويلا ... ونجد الف عذر وسبب .. فنزيد ما عندنا ونبدّله ثم نجمّله فنجد ان ذلك

أليق بنا وأكثر متانة. ونحصل رويداً رويداً على غرفة مريحة لا بأس بها، حيث لا ينقص شيء ، بل فيها ما ليس ضرورياً: طاولة جميلة وثياب لائقة متينة تتجاوب وذوق "العالم". من تبديل الى تبديل نصل الى ما يفعله الناس عادة ونضيّع روح الفقر. "ألعالم" لا ينفكّ يقول: آه! ما أحقر مسكنك ومضجعك! وما أحقر لباسك وطعامك! اعمل كذا وكذا ... فعلينا أن نجيب "العالم" كما أجاب سيدنا يسوع المسيح بطرس: سِر خلفي يا شيطان، فأنت عقبة دوني لأن أفكارك ليست أفكار الله بل أفكار البشر. (متى 16: 23) مَن فيه روح الفقر يجد دائماً ان لديه أكثر مما يجب، ويميل الى التقليل. أما مَن فيه روح العالم فيجد انه ينقصه دوماً أشياء، فهو غير مسرور، ويريد المزيد كل حين.

الفقير الحقيقي، حسب يسوع المسيح، يقلل من أمتعته شيئاً فشيئاً. أما من فيه روح العالم فهو يزيدها أكثر فأكثر.

ان من يملك روح الفقر يقول في نفسه: لا يزال لديَّ أكثر مما أنا بحاجة اليه، هناك فقراء كثيرون ليس لديهم ما لديّ، فقراء كثيرون يتألمون وتعوزهم ضروريات الحياة. وأنا، فأيّ حق لي في أن آوي الى مسكن أجمل من مسكنهم، وأن أغتذي بمآكل أطيب، وأن ألبس ثياباً أجمل مما يلبس فقراء الرب؟.

حيث لا ألم، لا فقر حقيقي ...

ان تشرّبنا من هذه الروح تتجرد رويداً رويداً عما ليس ضرورياً، بل نشمئز من كل ما تشتم منه رائحة الفخفخة والكبرياء واللمعان ونختار دوماً ما هو الأفقر والأبسط .. هذا كاف .. يمكنه أن يخدمني. فلنحافظ عليه ...

انه لمن الخطأ أن نظن أن الأشياء الخارجية العظيمة والجميلة، الأنيقة والبارزة، تبثّ، هي نفسها، في قلوبنا التقدير والثقة والسلطة. ومن الخطأ أيضاً أن نظن انها هي التي تجذب العالم الينا، واننا بهذه الطريق، نربح النفوس لله أو لنا.

قد تؤثر هذه الأشياء الخارجية الى حين، وقد تعظّم خارجياً من يأمرون، من بيدهم السلطة ومن علينا أن نؤدي نحوهم الاحترام والطاعة. غير أن هذه الأشياء لا تعطي العظمة والاحترام والطاعة. الفضيلة والمحبة هما اللتان تكسبان في الحقيقة ثقة الشعب ومحبته.

لا نظنن انه يمكننا أن نجذب الناس الى الله وأن نربح ثقتهم بواسطة الأثواب الجميلة والأردية البديعة والبيوت الفخمة والأثاث الفاخر وثياب القداس المطرزة. كلا! بل الفضيلة هي التي يمكنها أن تجذب النفوس.

لو كانت هذه الأشياء ضرورية أما كان سيدنا يسوع المسيح قد استعملها؟ بل هي غير ضرورية ولذلك رماها بعيداً عنه.

لم يكن له سوى اسطبل كمنزل، وقليل من القش كسرير. أما أهله ففقراء، نعشه خشبة قاسية. وكان يقول: اذا رُفِعت على الصليب جذبت الي الجميع. فهو لم يجذب الناس اليه بالفخفخة والعظمة بل بالفقر والألم.

وهل استعمل القديسون وسيلة أخرى؟ لم يكن ليوحنا المعمدان في صحرائه سوى جلد جمل على كتفيه ومنطقة من الجلد على حقويه وكانت كل اليهودية تأتي اليه. والقديس فرنسيس الاسيزي الذي كان يطوف البلاد حافي القدمين حاملاً كيساً على ظهره، هل كان يعطي تلك النزهات أية أهمية؟ ورغم ذلك كم من النفوس شُغِفت بحياته. تبعه عشرة آلاف راهب وهو على قيد الحياة ...

ان الفضيلة هي التي تجذب النفوس وتربح القلوب لله.

هناك من يتكلم على المراتب والألقاب ويظن انه يُحتَقر ويُذَلّ ان تمسك وان لبس كالفقراء أو عاشر الفقراء. يظن انه يضيّع كل شرفه ان اتخذ صورة فقيرة، مع أن سيدنا يسوع المسيح عمل ذلك: لقد اتضع، وهذا ما كان الفريسيون يأخذونه عليه حين قالوا لتلاميذه: ان معلمكم هو دوماً مع العشارين والخطأة.

م 12 ت ح 295 – 297

❖ ويُلح الاب شفريه على رسالة الكاهن الروحية: نواظب نحن على الصلاة والعمل لكلام الله.

(أعمال 6: 4)

"رسالة الكاهن رسالة روحية بحته"

لم يرسل سيدنا يسوع المسيح تلاميذه لكي يهتموا بالعالم ولكي يشغلوا بأيديهم أو يبنوا أو يتعاطوا التجارة بل أرسلهم لكي يبشروا ويشفوا المرضى. تلك هي الرسالة المزدوجة التي أرسلهم من أجلها: التبشير والشفاء. "كما أرسلني الآب كذلك أنا أرسلكم".

والرسل الذين حافظوا على تعليمات المخلص يعطوننا المثل الصالح في تتميم هذا الواجب، كما نرى ذلك في كتاب أعمال الرسل. لقد اعتبروا ان الاهتمام بالفقراء يشغلهم أكثر من اللازم ويأخذ من وقتهم جزءاً ثميناً كان عليهم أن يصرفوه في الرسالة الروحية، لذا فقد أقاموا شمامسة كأنهما واجبهم الأول والأساسي: نواظب نحن على الصلاة والعمل لكلام الله.

كما يصرح بذلك القديس بولص أيضاً في رسالتيه الى تيموثاوس: "ما من أحد يجنَّد يشغل نفسه بأمور العيش اذا أراد أن يرضي الذي جنَّده". (2 تيمو 2: 4)

❖ وان هذه الرسالة الروحية تتطلب الثقة بالعناية الربانية: لأن العامل يستحق أجرته. (لو 10: 7)

لم يبدأ الرسل، حين اجتاحوا العالم، ببناء الكنائس والمنازل أو بجمع التبرعات. كلا! لقد باشروا برفع الصليب، وعلى أقدامه أو في مجامع اليهود وفي البيوت كانوا يعلمون الشعوب. وعندما آمنت الجموع بكلامهم بنت هي نفسها كنائس لها لأنها شعرت بضرورتها.

ان هداية العالم أهم من كل شيء سواه. علينا الا نترك النفوس ونسعى وراء حجارة. لِم تستخدَم الحجارة ان لم تكن هناك نفوس؟

فعلينا اذن ان نعطي الأهمية الأولى للعمل الروحي: التثقيف، التعليم الديني، هذا أول واجباتنا.

ان لم يكن لدينا كل ما يجب ان يتوفر لنا فلا بأس في ذلك هل كان لدى المسيح كل ما هو بحاجة اليه، كل ما هو ضروري في أسفاره الى الجيل واليهودية والمدن العشر؟ هل كان لديه ما هو بحاجة اليه وهو معلق على الصليب؟

ان كان لا بد من الألم، فيا حبذا الألم! لأن عمل الله سيكون، بسبب الألم، أشد متانة وأكثر نجاحاً. اننا نجذب الى الله أناساً أوفر عدداً بواسطة الألم والفقر مما نرجح بواسطة الغنى والرفاهية.

سيعطينا المؤمنون أكثر، أو على الأقل سيميلون الى العطاء بسخاء أكبر، عندما يروننا فقراء نتألم.

ان كان الله يحجب عنا أحياناً خيراته فما ذلك الا برهان على أنه يريدنا أن نتألم وأن نستحق من ثم ما نحن بحاجة اليه. كم نكون مغرورين وعديمي الفطنة عندما نسرع في أمورنا! ... وربما يكون ذلك أيضاً برهاناً على أن الله لا يريد المشروع الذي نقوم به، أو اننا غير أهل لأن نقوم به أو أن نؤسسه أو أن نتمّه. فالأجدر بنا الا نبدأ به من أن نقوم به مكرهين.

لا بد لكل مشروع الهي من أن يحمل طابع الفقر والألم.

ثم انَّ جمع التبرعات، الا يجرّ معه محاذير عدة؟ الا نضيع وقتاً ثميناً للذهاب عند فلان أو فلان، أو في انتظار "السيد" أو "السيدة" في الصالون ... وتبذير الكلام هدراً، بل التفوّه بأقوال التملق والرئاء، ومدح ما نعمل أحياناً، والتحدث عن الصعوبات التي نلاقيها والتي لا نلاقيها، وسماع كلمات الاطراء والثناء ... فنعود غالباً وقد امتلأنا من روح العالم وتفاهاته .. عندما نعمل ذلك هل تتمّ ارادة الله؟ وهل يعلِق الرب نجاح مشاريعه على أساليب واهمية وصبيانية؟

قد يقال ان هناك أجراً عظيماً في التبرعات. أجل، دون شك. هناك الصعوبات والاحتقار والاهانات أحياناً والهزء... بيد أن هناك أجراً عظيماً أيضاً في احتمال الألم وفي انتظار كل شيء من العناية الربانية.

والناس ... الا يتعبون غالباً اذ يرون على أبوابهم باستمرار من يجمع التبرعات؟ . وهم لا يتبرعون بالمال الا بتأفف ولا يتورعون عن نقد "المتسولين" وذمّهم في اكثر الأحيان.

وعلاوة على ذلك، فلا الذهب ولا المال ولا الأراضي ولا البيوت تتم مشاريع الله، بل هم البشر الأسخياء المتفانون المتألمون، ومن يحركهم روح الرب. هذا ما يلزم لإتمام مشاريع الله. أعطوني نفساً سخية متفانية ومتألمة فهي تساوي عندي أكثر من مليون ليرة. وعندما تنضم الى هذه النفس نفس أخرى تحييها الرغبة ذاتها وتسيّرها نحو الهدف الواحد وتجمعها محبة الله: فها قد تمّ لمشروع.

هذا ما يقوله الروح القدس: "من أحب الذهب لا يُزَكَّى ومن اتَّبع الفساد يشبع منه. كثيرون سقطوا لأجل الذهب ... الذهب عود عثار .. طوبى للعني الذي وُجِد بغير عيب ولم يسع وراء الذهب. من هو فنغبّطه لأنه صنع عجائب في شعبه. (يشوع بن سيراخ 31: 5 – 9)

عندما تتم الخير الروحي يُزاد لنا دوماً الزمني، وهذا ما وَعَدنا به الرب. ان أعطينا بقرش واحد خيرات روحية يعوّض الرب علينا بمئة فرنك خيرات زمنية اك كان شعارنا عندما باشرنا بالبرادو.

اننا نفهم أن يطلب العلمانيون الحسنة عندما يقومون بمشروع ويتمونه يوسّعونه. أما الكاهن، هو الغني والقدير الذي يملك الكنوز السماوية ويوزع عطايا الله، فهل هو بحاجة الى أن يسعى ويركض ويفتش عن المال لذاته أم للآخرين.

الجميع بحاجة اليه: الفقراء وأكثر منهم الأغنياء. هو طبيب النفوس ومعزي الجميع. أنه يمنح الكل عطايا الرب.

الناس بحاجة اليه أكثر مما هو بحاجة اليهم. انه يعطي أكثر مما يأخذ من أي كان. وما يأخذه ليس بشيء مقابل ما يعطيه. انه أغنى من جميع أغنياء الأرض. والأغنياء بحاجة اليه أكثر مما هو بحاجة اليهم. فان عرف الكاهن اذن ثرواته وعلم كيف يوزع خيرات الله لن ينقصه شيء من خيرات الأرض.

والركض وراء خيرات الأرض اعتراف علني بفقرنا الروحي. هو الاقرار بأننا لا نعمل ما يطلبه الرب لأن الله لا يدفع لنا أجرتنا. هو الاقرار أيضاً بأننا لا نعطي العالم شيئاً بما ان العالم لا يرد لنا شيئاً.

الكاهن الذي يعطي العالم الحياة الروحية ليس بحاجة الى أن يهتم بالخيرات الأرضية، فان الله يمنحه اياها بوفرة: اطلبوا اولاً ملكوت الله وبره وهذا كله يزاد لكم. (متى 6: 33)

الكاهن الذي يعمل لأجل الله يهتم به الفقراء اولاً ويطعمونه ثم يأتي بعدهم الأغنياء. تلك هي القاعدة. م 12 ت ح ص 307 - 309

- يشعر الأب شفريه بالرغبة في منح الأسرار مجاناً: مجاناً أخذتم، مجاناً أعطوا. وعندما بدأ بتنفيذ هذه الفكرة احتجَّ عليه الكهنة وعارضه النائب الأسقفي العام. لقد كانت الفكرة بعيدة عن تقاليد عصره:

"فإننا نطلب اذن السماح لنا بأن نمنح الأسرار مجاناً وبأن لا نقبل في خدماتنا الروحية الا ما يودّ المؤمنون أن يهبونا بحرية ومن تلقاء أنفسهم. كما نسأل الا نطالب الناس بالمال بمناسبة خدمتنا الأسرار، وذلك لكي تتم قول السيد المسيح: مجاناً أخذتم مجاناً أعطوا. ولكي نطابق سيرتنا على حياة القديس بولس الذي كان يعمل بكلتا يديه لئلا يطلب شيئاً، والذي كان يسرّ ويفتخر بأنه يبشر مجاناً.

سنضع صندوقاً في السكرستيا أو في الكنيسة يدع فيه المؤمنون هباتهم بمناسبة خدمة الأسرار المقدسة واقامة القداس الالهي. وسيمرّ أخ أو أخت في الكنيسة، بعد الصلوات، لكي يجمع في صينية تبرعات المؤمنين. سنتحاشى أن نعلق في الكنيسة أو في السكرستيا تلك الاعلانات ولوائح التعريفات للأشياء المقدسة والجنازات...

يفهم المؤمنون الأتقياء هذا الواجب تجاه الكهنة الذين يخدمونهم فيعطونهم بسهولة ولكن ماذا يمكنكم أن تطلبوا من الكفَّار، من هؤلاء الذين يحتقرون الكاهن ويعتبرونه انساناً بخيلاً لا يحب الا الجلوس الى الموائد الدسمة ... من هؤلاء الذين لا يأتون الكنيسة الا ثلاث أو أربع مرات في حياتهم: لزواج أو لعماد أو للجنازات ... وفي كل مرة يسمعون من الكاهن أو القندلفت هذه الكلمات: عليكم كذا؛ بلهجة آمرة؟ .. هذه الأساليب تبعد الناس عن الكنيسة فيذهبون وهم يشتمون الديانة، وينتقدونها، ويسمّونها: ديانة مال.

انه لمن الأكيد أن قلة من الناس تعطي الكاهن المال بقلب متهلل فرح. وغالباً ما يغادرونه وهم يتفوهون بعبارات نابية ومحقِّرة.

لهذا السبب لم يشأ القديس بولس أن يقبل شيئاً من الكورنثيين والتسالونيكيين وغيرهم. أما بالنسبة للمقدونيين فقد قَبِل منهم. وما ذلك الا ليقول لنا أن نتحاشى طلب أي شيء من الذين لم يثبتوا بعد في الايمان، لكي نُظهر لهم تجردنا، لئلا نعيق بشارة الانجيل.

كيف نهدم تلك المشاعر في قلب الشعب؟ كيف نُعيد اليه الثقة بالكاهن والاحترام نحوه؟ سيتم ذلك بالتجرد وبالفقر، وهكذا نعود الى قلب الجماهير.

ما أشد محبة الناس، حتى الأشرار منهم، للكاهن المتجرد! .. وما أشد احتقارهم للكاهن البخيل الذي يفتش عن مصلحته! ..

كلما ازددنا فقراً وتجرداً أصبحنا أقل تطلباً؛ وكلما أحبَّنا الشعب أصبح الخير لنا أسهل.

انه لمن الأفضل أن نقول: أعطوا ما تشاؤون، من أن نقول: لي عليكم كذا. اليس من باب التجارة أن نقول: لي عليك كذا؟ يسألنا المؤمنون: ما التعريفة؟ بكم القداس؟ يا للعار! ..

وكم يصعب علينا الا نأتي بالأعمال، ولو قليلاً، من أجل المال ... كم يصعب الا ننحاز الى الأشخاص الذين يعطون أكثر من غيرهم، والا نفضّل قداساً أو أية وظيفة يُدفع عليها رسم أكثر من غيرها. ألا تأتينا التجربة بأن نسأل أو نتمنى قبض مال أوفر؟ "لم أشته منكم لا ذهباً ولا مالاً ..." ما أكثر ما يجربنا المال! .. وما أقوى جاذبيته عادة! وما أصعب الا نزلّ في هذا الموضوع. اننا نشبه حينئذ يهوذا الإسخريوطي: ماذا تعطوني وأنا أسلمه اليكم؟ ...

بأي عنف يطرد سيدنا يسوع المسيح الباعة من الهيكل! انها لخطيئة تُحزن قلبه جداً. فعلينا أن ننزع من القديسات كل ما يُشتمّ منه رائحة المال والتجارة والمادة.

يعاقبنا الله على بخلنا وعلى تعلقنا بالخيرات الأرضية حين تقوم الثورات فيجرّدنا المؤمن أنفسهم من كل ما نملك. ان أول ما يفعله الثوار هو أن يجردونا ويتركونا فقراء. وكأني بالله يريد أن يقاصصنا بسبب تعلقنا بالخيرات الأرضية وأن يرغمنا على ممارسة الفقر لكوننا لا نود أن نمارسه من تلقاء ذواتنا.

ونعمًّا الثورة أحياناً. لأننا قد ننام في الثروة والرفاهية ولا نعود نأبه لأمور الله. عندما قال الرب: الويل للأغنياء، وجَّه قوله لخدامه أكثر منه لغيرهم لأنه، ان كان لا بد من شخص يمارس فضيلة الفقر، فهو الكاهن خصوصاً، خادم المسيح. م 12 ت ح 315 – 217

علينا ألا نعتمد الا نعتمد الا على الله وحده: "أنتم الذين ثبتّم معي في تجاربي" (لو 22: 28) اطلبوا اولاً ملكوت الله وبره وهذا كله يزاد لكم (متى 6: 23)

"الاعتماد على الله وحده"

علينا أن لا نعتمد على العالم. فاليوم هو معنا وغداً يعادينا. يتغير العالم يتحوَّر. اليوم يعيدنا وغداً ينقلب على وعده. اليوم تعجبونه وغداً تنفّرونه. وقد يتعلق ذلك بشيء تافه: انكم لم تفعلوا ما يطلب، فأدار لكم ظهره. الويل لمن يبني على الوعود، انه لن يجد الا الشقاء والدمار.

لا نضعنّ ثقتنا في هذا الشخص أو ذاك، لأنه غني أو لأنه تقي. لا تثقنّ في العلم ولا في الغنى، ولا في أي شخص في هذا العالم، حتى ولا في من يحيطون بنا، الا اذا أعطوا البراهين الدامغة على الاخلاص والاستمرار، وتلك البراهين تعطى في الألم.

كان يسوع يقول لرسله: "لقد ثبتم معي في تجاربي". الألم هو البرهان الوحيد على الاخلاص. ان تألمتم أثق بكم.

لذلك علينا ألا نُلزِم أحداً بشيء في مشروعنا ما لم يعطِ براهين أكيدة، بالألم، على اخلاصه.

انه لخطأ جسيد أن نقول: ذاك الانسان غني .. فسيعطيني للمشروع. وذاك الآخر سخي كريم، سيعطيني أيضاً. وذاك الانسان يحبني ويقدّرني، سيعطيني كذلك. ان العالم يفضّل ماله عليكم وعلى مشاريعكم ... ولا تعتمدوا على الوعود التي يعدونكم بها ولا على "الامانات" التي يضعونها عندكم لتستفيدوا منها بعد موت أصحابها. لقد صدق القول القائل: عصفور في اليد خير من عشرة على الشجرة.

ولا تقبلنَّ الهدايا المقدمة دون خاطر، انها تضايقنا وتقلقنا وقد تصبح سبب نزاع بيننا وبين مقدميها. لا نستندنَّ أبداً الى قواعد متزعزعة. لنتكل على الله وحده. يكفينا أن نتم عمل الله، طالما انه يدعونا الى حقله، فانه سيكون من نصيبنا، هذا وعده.

الشروط المتوجب توفرها لنحصل على عون الله:

"اطلبوا اولاً ملكوت الله وبره وهذا كله يزاد لكم".

الشرط الأول هو أن يدعونا الرب الى العمل في مشروعه. ثم يجب التفتيش عن ملكوت الله وبره فيمنحنا الرب ما تبقى.

انه لمن الواضح والثابت اننا عندما نحاول أن نقوّي أنفسنا ونسعى نحو رفاهيتنا ونرفع الأبنية، فنحن لا نفتش عن الله انما عن ذواتنا، وغالباً ما يأتي عمل الله بعد مشاريعنا.

علينا أن نعمل، وأن نعمل لله فقط. لا بد طبعاً للحارث من أن يعمل لكي يحصد. والله لا يكافئ الا من يعمل من أجله. يستحق الفاعل اجرته، ولا تدفع الاجرة الا لمن يشتغل. كذلك الله فانه لا يدفع الاجرة الا لمن يشتغل من أجله. علينا أن نعمل لله ومعه، أي مع روحه.

اذا تعديتم الحدود التي يريدها الله، واذا خرجتم من حدود الألم والفقر التي رسمها الله في ما يخص مشاريعه، فتشاغلتم أكثر من اللازم بالأشياء الخارجية، مهملين البساطة والفقر، كالمغامرين، تعملون أكثر مما تستطيعون وأكثر مما يتوجب عليكم: تزيّنون وتبّرون المال وتقولون بغرور: سيرسل الله لنا المال ... كلا! فالله لا يدفع لحماقاتكم ولا لغروركم. بل قد يهملنا أحياناً عندما نعمل أكثر مما يلزم في ما يخص الأشياء المادية.

م 12 ت ح 320 – 321

ونحن، استناداً الى هذه المبادئ، لا نريد أن نترك أبنية ولا أموالاً ولا خيرات مادية. ان كنتم قديسين لا تحتاجون الى هذا كله بل سيكون لكم أكثر مما تتمنون. وان لم تكونوا قديسين لن يأتيكم شيء، ونعمًّا ذلك. لأنكم لا تستحقون شيئاً وقد تستعملونها استعمالاً سيئاً. اني أفضل أن تندثر المشاريع جميعها ان لم تؤد الى مجده تعالى لخلوّها من الروح. م 12 ت ح 321 في الحاشية

عندما لن نأوي الا الى منزل معار، وعندما نُطرَد من مكان الى آخر، ونُرغم على الانتقال الى منازل أخرى كالفقراء، عندئذ فقط نحصل على الفقر الحقيقي. لماذا لا يمارس جنود المسيح الفقر الذي يمارسه جنود الامبراطور؟ انهم يحملون كل شيء على ظهورهم ينتقلون لأول اشارة وينامون على ألواح من خشب ..

من أين لنا الحق في أن نحيا أفضل من فقراء الأرض، وأن نأوي الى منازل وأن نتغذى بأطعمة أفضل من أطعمتهم؟ م 10 ت ح 296 في الحاشية

- ان فضيلة الفقر تولى الكاهن قوة روحية عظيمة:

كانت تخرج منه قوة تبرئ الجميع. (لو 6: 19)

"لماذا يوصينا يسوع بالفقر بهذا المقدار؟

ان الفقر يضعنا تحت يد الله، في التواضع والعمل والخضوع والمخافة والتقوى والصلاة.

أما الغنى، فبالعكس، انه يضعنا في الرفاهية ويعطينا حاجاتنا كلها ويجعلنا نحيا حياة برجوازية. ورويداً رويداً نعتاد على حياة لينة وتخاف من ازعاج أنفسنا. ولا نعود من ثم نحتاج الى أحد، لدينا ما نعيش به فيمكننا الاستغناء عن الجميع، وعن الله بالذات.

الفقر قوة الكاهن، وهو ينبوع المثل الصالح لتشجيع الآخرين. م 12 ت ح 319 في الحاشية

يضعنا الفقر في التواضع واللطف والثقة والصلاة تجاه الله والبشر. يكفي أن تلمس أقدامنا الأرض فلا نضعنَّ فيها أيدينا ورأسنا.

الكاهن أجمل شمعة في الكنيسة، الكاهن أجمل ثريًّا فيها وأجمل شمعدان. انه لضلال كبير أن نظن أن هذه الأشياء الخارجية هي التي تجذب الناس. يمكننا أن نثير الفضول واما نعطي النعمة بهذه الأشياء، فلا. كاهن فقير وقديس يردّ البشر الى الله بمَثَله، أكثر من جميع ثريات العالم وشموعه، وأكثر من الجمالات الخارجية التي نعرضها سدى لنجذب البشر.

ان يسوع الفقير والعاري جذب اليه الجموع بفقره أكثر من ذهب العالم بأسره.

"كانت تخرج منه قوة..." لا نستطيع أن نقول ذلك عن أي شيء خارجي. ذلك لأن الحصول على الشموع والثريات والعروش والكراسي وتوابعها أسهل من الحصول على القداسة. قليل من القداسة والفقر أفضل من لمعان العالم بأسره.

لنتحاشَ ارهاق المؤمنين بالطلبات التافهة. ان مارسنا الفقر وعشناه، ومن ناحية أخرى طلبنا منهم باستمرار المال والأشياء المادية فإننا نتعبهم ونزعجهم ونبعدهم عنا. لنترك الهبات حرة ولا نعطين سبباً للنقد. قرش واحد يُعطى بحرية وفرح أفضل من الف ليرة تُعطى بعناء.

ان كنا بالحقيقة فقراء سيحترمنا الناس وسيعطوننا الكثير. لا نزعجن المؤمنين بطلباتنا المتكررة. ان الفقير الحقيقي يتألم ولا يسأل الا ما هو ضروري، والله لا يرفضه له.

كاهن فقير وقديس في كنيسة من خشب يرد الخطأة الى الله أكثر بكثير من كاهن عادي في كنيسة من ذهب ومرمر ومزدانة بكل أنواع الزينة الخارجية. انه لبرهان على فقرنا بالفضيلة والقداسة عندما نستعير، مرغمين، جمال هذه الأشياء الخارجية لنجذب الينا العالم. على الصليب جذبت اليَّ الجميع. لقد جذب الصليب البسيط والملطخ بالدم الناس اليه. كذلك الالم والفقر

كان سيدنا يسوع المسيح يقول: اذا ما رُفعت يجذبان أكثر من بهرجة الأشياء المادية وجمالاتها.

أليس من العار أن نُرغَم على استعارة المجد من الأشياء المادية عوض أن نحصل عليه من أعماق أنفسنا؟ الا يبرهن بذخُنا لجذب الناس على حقارتنا ومسكنتنا؟ ومن ناحية أخرى، عندما نجذب الناس بالألعاب والهدايا في الحفلات أو الكرمسات، أليس ذلك احتقاراً بالنسبة اليهم واعتبارهم كالأطفال؟ قيل عن يسوع: كانت تخرج منه قوة ...

نحن لا نريد أن نقضي على العبادة الخارجية، كلا، بما أن الكنيسة تقرها اذ نحن من روح وجسد، ولأن الأشياء الخارجية بإمكانها أيضاً أن تقودنا الى الله. ولكن لنحذر لأنفسنا لئلا ننقاد الى هذه الرغبة الجارفة القائمة في أيامنا الحاضرة، ولئلا نعتبر الأشياء الثانوية بمثابة الجوهرية. البساطة والفقر، هذا ما يلائمنا نحن خصوصاً وما يجب علينا أن نعتنقه كوسيلة.

لنتحاشَ أيضاً أن نستخدم الوسائل الطبيعية للحصول على المال، تلك الوسائل التي لا يقرها الله والتي اخترعها البشر لكي يثيروا الشهوة كالسهرات والملاهي وحفلات الموسيقى أو اليانصيب. لا شيء

أكثر منها ينافي روح المحبة الحقة. ولا يصبح معها التبرع حسنة بل فضولاً وشهوة، واذ نستعمل هذه الوسائل نسبب للناس خطايا أكثر مما نفتح لهم مجالاً لعمل الخير.

م 10 ت ح 297 – 299

III الألم والصليب

❖ لقد ورد موضوع الألم مراراً في كل ما تقدم وسنعود اليه أيضاً في صفحات قادمة. غير أن الاب انطوان يلح خصوصاً، رغم التكرار، على ما يسميه بالشرط الرابع لنصبح تلاميذ حقيقيين ليسوع المسيح، ألا وهو حمل الصليب.

التعليق على الموضوع بسيط جداً لأن الاب انطوان يتبع الانجيل حرفياً. وبالبساطة نفسها يرينا كيف أن الصليب يتجلى في حياة الكاهن الانجيلي، دون التفتيش عن آلام خارقة العادة.

غير اننا سرعان ما نلاحظ أن هذا الصليب ممجد، وهو علامة المسيحي، وخصوصاً علامة التلميذ الحقيقي، والوسيلة التي بها نمجد الله ونخلص البشر. فعلينا، والحالة هذه، أن نحمله بفرح وحب.

"حملُ الصليب"

انه الشرط الرابع لكي نصبح تلاميذ حقيقيين ليسوع المسيح.

عقيدة يسوع في هذا الموضوع:

يقول يسوع: من اراد أن يتبعني، فليزهد في نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني. (لو 9: 23)

من لا يأخذ صليبه ويتبعني ليس جديراً بي. (متى 10: 38)

من لا يحمل صليبه ويتبعني لا يستطيع أن يكون لي تلميذاً. (لو 14: 27)

نرى من خلال أقوال سيدنا يسو المسيح هذه أنه من أراد أن يصبح له تلميذاً حقيقياً يجب عليه اولا أن يأخذ صليبه. ولا يكفي أن نأخذ الصليب فقط بل يجب حمله أيضاً كل يوم.

كل ذلك واضح في النصوص السابقة.

ما هو الصليب؟

انه علامة الألم، علامة عامة تتضمن كل أنواع الألم. علامة الخلاص، علامة الفداء، علامة المسيحي، وخصوصاً علامة التلميذ الحقيقي ليسوع المسيح.

الصليب هو الفقر، وهو الزهد في الخلائق وفي الذات، انه المشقة في الحفاظ على شريعة الرب وتنميمها، انه نير السيد المسيح، نير الانجيل. هو معرفة هذه الحياة المختلفة كل الاختلاف عن حياة سائر البشر.

هذا الصليب يقدمه لنا يسوع قائلاً: احملوا نيري عليكم. ان نيري ليّن وحملي خفيف. حيث الحب لا مشقة، وان كانت هناك مشقة فهي تصبح محبوبة.

انه شريعة المنزل الذي نسكنه. ألم يتنبأ لنا المسيح باضطهاد العالم ايانا وببغضه لنا؟ ...

الصليب هو الخلاص، هو المجد.

ما أعظم الصليب وأمجده منذ أن أخذه المسيح وحمله!

أجل ان يسوع يقدم صليبه للنفوس السخية.

فيجب أن نأخذ صليبنا وأن نقبله بكل ارادتنا.

لم نصبح كهنة أو رهباناً لكي نحيا حياة أكثر رفاهية ولذة من حياة سائر البشر. كلا! بل بالعكس، لكي نأخذ الصليب، بل صليباً أثقل من صلبان الناس. أصبحنا كهنة ورهباناً نحيا حياة أكثر دقة وكمالاً وأشد صعوبة على الطبيعة البشرية.

يجب علينا أن نأخذ صليبنا، الصليب الذي يقدمه لنا يسوع. صليب الحياة المنتظمة والقاسية، الحياة الانجيلية. وهذا الشرط أساسي وهام حتى أن سيدنا يسوع المسيح يقول أن من لا يقبل هذا الصليب لا يمكنه أن يكون تلميذاً حقيقياً له. وهكذا من لا يريد أن يحمل الصليب الذي يقدمه يسوع المعلم فهو غير أهل لأن يتتلمذ له.

فأخذُ الصليب هو اذن قبول الحياة الانجيلية التي يعرضها علينا سيدنا يسوع المسيح. وهو قبول الآلام المتعلقة بحياة الفقر ونكران الذات والتجرد عن الخلائق، والمتعلقة بحياة متألمة ومتفانية. ان لم نقبل ذلك فلا يمكننا أن نصبح تلاميذه "من لا يحمل صليبه لا يستحقني" ولا يريده الرب تلميذاً له.

فالمسيح يرغب اذن في النفس الجريئة والسخية. لا بد من الجرأة لقبول ذاك الصليب الذي يقدمه لنا، والا فيجب رفضه والمسيح لا يريدنا أتباعاً له: "لا يستحقني" ...

يدعونا يسوع الى أخذ الصليب.

يدعونا يسوع الى حمل صليبه. ان نيري لين وحملي خفيف. وهو نفسه قد حمله من أجلنا. فلا بد من حمله وراءه اذ أنه يقدمه لنا.

ها أنا أمة الرب، ليكن لي بحسب قولك. (لو 1: 38)

لكل انسان صليبه الخاص.

لكل انسان صليب خاص عليه أن يحمله: صليب المسيحي، والجندي، والكاهن، والتلميذ، والمزارع ورب العائلة ...

يجب حمل الصليب.

من لا يحمل صليبه لا يمكنه أن يكون لي تلميذاً. لا يكفي أن نأخذ الصليب بل لا بد أيضاً من حمله، اذ قد نأخذ شيئاً ولا نحمله. وقد نقبل شيئاً ولا نستعمله. غير أن المسيح يوضح الأمور: ليس قبوله فحسب بل حمله أيضاً. كثيرون يقبلون الصليب ويأخذونه بَيْدْ أنهم لا يحملونه.

حمل الصليب هو حمل الآلام بشجاعة واستمرار. هناك من يأخذون الصليب وسرعان ما يلقونه عنهم حين يؤلمهم. كلا. يجب حمله، أي حمل كل مضايقات الحياة الرسولية. علينا أن نحمل نتائج الفقر والتجرد عن الخلائق وعن الذات، ونتائج البغض واحتقار العالم والاضطهاد الذي ما هو الا نتيجة لحياتنا المضادة للعالم، تلك الحياة المنتظمة والرصينة والمتجردة.

وحمل الصليب هو قبول كل ذلك بتواضع وصبر واستسلام وفرح وحب، لأنه صليب الرب، ولأننا، بواسطته، سنصل الى السماء ونمجد الله على الأرض ونخلص النفوس. عندما حمل يسوع صليبه خلَّصنا ودخل هو نفسه في المجد. "كان ينبغي للمسيح أن يتألم وأن يدخل من ثمّ في مجده" (لو 24: 26)

عندما أرتفِع على الصليب سأجذب اليّ الجميع. مع الاقتناع داخلياً اننا بواسطته نمجد الله ونربح النفوس.

احملوا نيري عليكم ... فلا بدّ من احناء الأكتاف والأعناق.

حمل الصليب كل يوم.

ويضيف سيدنا يسوع المسيح انه يجب حمل الصليب يومياً. ما أعمق تفكيره بدقائق الأمور... انه يدلنا على واجباتنا كلها.

يجب أن نبدأ كل يوم من جديد. اننا نترك صليبنا مساء، وفي الغداة نحمله كالأمس، بل أفضل من الأمس.

كل يوم، دون ملل وباستمرار ... ان تركناه فلا بد من أخذه مرة ثانية، حتى النهاية.

ويجب الا نيأس في درب صليبنا هذا. هناك الألم دوماً حتى الموت، والموت على الصليب كسيدنا يسوع المسيح، ولا بأس ان وقعنا أحياناً تحته، لنقف من جديد بالصلاة لمتابعة الطريق.

لا بدَّ من المثابرة.

يقول لنا يسوع المسيح هذا الكلام لأن طبيعتنا المسكينة تثور غالباً وتتعب وتريد أن ترمي الصليب بعيداً. لكن لا! طالما ابتدأنا فعلينا المثابرة وحمل الصليب باستمرار. لنلقّن التعليم المسيحي، كل يوم، ولنكن فقراء، ولنتحمّل القريب والعالم، ولنقاوم ضعف الطبيعة، بنعمته تعالى.

الصليب هو رمز حب القديسين، وخصوصاً بولس الرسول الذي أحبَّ الصليب وجعله علامة مجده وفخره. "أما أنا فمعاذ الله أن أفتخر الا بصليب ربنا يسوع المسيح". (غلا 6: 14)

"ان جسدي موسوم بسمات يسوع" (غلا 6: 17) دالاً بذلك الة آثار العذاب والاضطهاد والضرب في سبيل السيد المسيح، فبولس يفرح بالصليب ويفتخر به.

الصليب هو موضوع حب القديسين.

❖ يتكلم الاب انطوان عن الصليب بعد خبرة طويلة وكرجل يشعر بضعفه ويتألم منه بشدة. ان حمل الصليب بفرح وحب لا يعني أبداً الاستسلام المتكبر واللامبالي أو التلذذ بالألم الشنيع.

الى السيدة فرانشه (1865)

ابنتي العزيزة

أشكرك على رسالتك الطويلة، ان الحقيقة تُسِرُّ دوما. اني أشعر تماماً بكل الحقيقة التي تقولينها لي، حتى اني وددت لو يمكنني أن أنفّذ حالاً ما هو مطلوب، لأن وددت لو يمكنني أن أنفّذ حلاً ما هو مطلوب،

لأن الفوضى وقلة النظام اللذين يسودان بيتنا عبء كبير يثقّل كاهلي وكم أتمنى أن أتخلص منه. ومن جهة أخرى اني أشعر بالعجز وقلة الجدارة حتى اني أقول غالباً لله: الهي، ألم تَخطَأ اذ وضعت على رأس مشروع كبير كهذا رجلاً حقيراً مثلي؟ اني فقير خاطئ وجاهل وأخشى أن ينهار المشروع ان لم يرسل الله شخصاً أهلاً له. ما أكثر الصفات والفضائل الضرورية لتأسيس شيء ولتتميم عمل الله بصورة حسنة. اني أعلم جيداً أن الله يختار من يشاء من المساكين والفقراء لكي يُظهر قدرته ومجده، فيستطيع كل انسان أن يقول: ان الله بالذات هو الذي صنع ذلك. لكنه لا بدَّ أيضاً لهذا المخلوق المسكين أن يتجاوب مع النعمة، لا بدَّ له أن يكون رجل صلاة واماته. واني لأشعر بمقاومتي المستمر لإرادة الله القدوسة. اني أؤخر تقدّم المشروع ... وأنا بحاجة الى شخص قريب مني يذكّرني دائماً بما يجب أن أفعل ويحثني على العمل. يا لشقائي! يا لتعاستي! ويا لمسؤوليتي الجسيمة ان لم أتمّ مشيئة الرب! وأية دينونة وأي حكم ينتظرانني ... لقد كنت أقول للرب خلال سنوات عديدة: الهي، ان كنت بحاجة الى فقير، فهاءنذا ... وان كنت بحاجة الى مجنون، فلبّيك .. وكنت أشعر آنذاك بالنعمة تغمرني لأتم كل ما قد يطلبه الله مني. والآن، وقد حان وقت العمل، فإنني كسلان، اني جبان .. آه! ان لم تكن هناك نفوس تضرع من أجلي وتدفعني لَضِعتُ. لو أرسل لي الله أخاً صالحاً يفهم جيداً غاية المشروع وروحه لأحسست بالشجاعة وبالقوة. ولكن لوحدي! دائماً لوحدي! فأنا أشعر بالقوة تعوزني ولا بدَّ لي من نعمة خارقة العادة، لم أستحقها بعد. انَّ نعم الله تُشترى وعلينا الأَّ نوفر جهداً أو عملاً للحصول عليها، خصوصاً عندما تساهم في خلاص النفوس ومجده تعالى.

المعذرة! ابنتي العزيزة، ان كلَّمتك بصراحة وان كشفت لك قليلاً عن أحزان قلبي. ذلك لأني أحب أن أجد فيك نفساً تصلي وتساعدني على تتميم مشيئة الله القدوسة. لأن الرب، ان شاء أن يقوم البرادو، فليس لكي يعطيني ملكاً بمئة الف فرنك ... ما عساي أفعل به؟!. لقد أعطيته كل ما لي ولن أسأله ميراثاً سوى فضيلة الفقر المقدسة. فهناك، دون شك، غاية أخرى ... فساعديني على تتميم ارادة الله وخصوصاً في مشروع كهنة فقراء للرعايا. الكاهن. آه! ... هو فقط يمكنه أن يقوم بعمل ما. الكاهن: هو كل شيء ... انه السيد المسيح على الأرض. عليَّ أن أصبح مسيحياً آخر كي يستطيع من يأتي الى البرادو أن يصبح هو أيضاً مسيحاً آخر حياً. ليس من وسيلة أخرى ليهتدي الناس الى الله...

ان ابنك يصنع تماثيل جميلة من عاج، الا أن تماثيل العاج والمرمر لا تهدي الناس. آه! كم أتمنى لو استطاع أن يعمل من ذاته تمثالاً جميلاً يحيا فيه المسيح.. لكان أرضى السيد المسيح وخدم الكنيسة.

لنصلِّ اذن كي تتم ارادة الله القدوسة في كل واحد منا، لئلا يفشل مشروع الله بسبب كسلنا واهمالنا.

هل من الضروري أن أحدثك عني؟ بما أنك تسأليني فأقول ان صحتي تتحسن والحمدلله، فرأسي بخير ويمكنني أن أسير الآن. ولكني لا أزال على دواء السيد امري. سأعود الاربعاء مساء الى البرادو لأتابع علمي. ليت الله يباركه لأتمم ارادته القدوسة. ليباركك يسوع، مع العائلة.

❖ وكتب الاب انطوان في أيامه الأخيرة رسالة الى الاب جاريكو المزمع على الذهاب الى دير الترابيست في تاميه، جاء فيها:

البرادو في 5 نيسان 1878

أخي العزيز وصديقي

مثالك الصالح أحدث نتائج رائعة ...

فان الأب دوره يكرر علي منذ بضعة أيام انه لا يُحسن القاء دروس التعليم المسيحي على الأولاد، وان على الانسان ان يخلص نفسه أولا، وانه يرى ذاته غير ضروري لمشروع مقدس كمشروعنا، وان الله يعرف كيف يبعث غيره فلا يتركني وحيداً، وانه يشعر بضرورة الاختلاء والعمل، وبرغبة شديدة في الذهاب الى الدير الشارتروز الكبير، وانه كان من الأفضل له لو لم يصبح كاهناً بل ليته بقى أخاً مساعداً ليتفانى في المشروع دون أن يأخذ مسؤولية كاهن ترعبه، كما انه يخشى أخيراً دينونة الرب. كما انه يكرر انه سيعود الينا أكثر قوة ورسوخاً في دعوته بعد بضعة أعوام يقضيها في دير الشارتروز الكبير، وهو متأكد، علاوة على ذلك، ان رسالة البرادو جميلة جداً وانه لن يختار غيرها ... أما الآن فعليه الرحيل.. اني لأستغرب أن يبقى بيننا بعد هذه الأسباب العديدة ...

أما الأب فارييه فهو لا يزال يحنّ الى الرسالة البعيدة، وبمّح لنا أحياناً عن رغبته في السفر الى الصين.

ويفضّل الأب بروش ليمونه على البرادو وسيبقى، على ما أظن، مع السيد جابييه.

أما الأب دولورم فهو ليس على ما يرام ولن يستطيع أن يعمل لوحده رغم شجاعته ولا بد له من أن يذهب الى الريف لبضعة أشهر يستعيد فيها صحته... غير ان رحيل أصدقائه لن يشجعه كثيراً ...

ان نَجَحَت الأمور بهذا الشكل فسأطلب من طلابنا الإكليريكيين الكبار ان يذهبوا الى الدير ولن آخذ أولاداً جدداً للمناولة الأولى. فليس لي اليوم الصحة ولا الشجاعة لكي أجدّد ما فعلته في السابق. لقد منحني الرب مساعدين، أعواناً صالحين. وهو الآن يسترجعهم مني: ليكن اسمه القدوس مباركاً. انه يبرهن لي بوضوح انه ليس بحاجة لأحد ليتم الخلاص. انكم تقولون جميعاً ان الله ليس بحاجة لإنسان، وانه يعمل دوننا ... هذا واضح واني أظن انه سيرسل بعدنا آخرين يعملون ارادته أفضل منا. هذه تعزيتي الوحيدة وأملي الوحيد، لأني أتألم جداً أن أرى البرادو فقراً ودون أولاد، عندما أفكر أنه كان طيلة ثماني عشرة سنة مكاناً للجهد والنشاط وهداية النفوس الى الله.

اذهبوا جميعكم الى الأديرة المحصّنة لتصلّحوا وتكفّروا عن الخطايا. يؤسفني ان لا أستطيع أنا نفسي الانضمام اليكم، لأني بحاجة الى الصلاة والتكفير أكثر منكم جميعاً بصفتي أكبر منكم سناً وبالتالي

أكثر خطيئة واثماً. لكنني ولئن لن أذهب الى الدير فسألجأ الى سان فون وفي القلب تعزية كبيرة انني ربّيت رهباناً وترابيست وشارترو ورسلاً ... أجل لم أتوصل الى تثقيف معلمين صالحين للدين المسيحي، رغم ما يبدو لي من حاجة العصر والكنيسة.

الى اللقاء. صديقي العزيز. صلّ من أجلنا ومن أجلي خصوصاً أنا الذي ظننت اني عملت شيئاً، مشروعاً، وأرى اني لم أنجح في شيء. ليت هذا الذلّ يرشدني الى الخير ويكفّر عن خطايا حياتي كلها وخصوصاً عن كبريائي.

أخوك في المسيح يسوع ...

أخوك المهمل وحيداً على الصليب..

انطوان شفريه

م 13

I التعليم المسيحي

❖ لقد أعطي الأب انطوان نعمة الانتباه الى رسالة الكلمة. انه، بالحقيقة، العمل الرعوي الأساسي الذي تباشر به الكنيسة عملية الخلاص، سواء في بعث ايمان الملحد، أو في انارة عقل الجهال، أو في حث الخطأة على الرجوع الى الله، أو في الدلالة على طريق التلميذ الحقيقي

ان بقاء الأب انطوان في "دار" السيد رامبو خصوصاً، على ما يظهر، هو الذي ساعده على اكتشاف هذه الناحية من الدعوة التي لمسها ليلة عيد الميلاد عام 1856. لدينا رسالتان الى السيد كميل رامبو تُظهران بجلاء تطور فكرته في هذا الموضوع.

لقد وجد الأب انطوان مكانه الملائم في "الدار"، غير انه يريد أن يكتفي بدوره كمرشد روحي ويتحاشى التدخل في ادارة المشروع، ولكنه يلمّح الى ما هناك من مشاكل قد يصعب حلها.

أما الرسالة الثانية فهي تكشف عن أعماق قلبه: انه فهم ان الله يدعوه الى تكريس ذاته لرسالة الكلمة بالقرب من الفقراء. والجواب على دعوة الرب هذه لم يكن ممكناً في مشروع السيد رامبو.

"الدار" في 15/ 4/ 1859

الى السيد كميل رامبو

صلِّ لأجلي أيها الأخ العزيز لأني لا أزال ذاك الشقي، من لا يستحق أن يكون كاهناً للمسيح. لا أزال في فقري وتعاستي غير أهل لأن أتم الرسالة العظيمة التي أؤتمنت عليها. اني أشعر وارى ما يجب أن أعمل وما يطلبه مني يسوع، ولكني جبان ولا أمنحه ما له عليّ من حقوق.

قرأ لي الأخ شارل رسالته اليك. لو كنتَ كاهناً لقلتُ لك أن التجارب نفسها قد انتابتني ولا تزال تراودني. لا أشتهي مكاناً آخر غير مكان الزبّال في طرف الشارع. لو علمت قبل رسامتي الكهنوتية من هو الكاهن لرفضت هذا العبء الثقيل ... غير اني مرغم اليوم، نوعاً ما، على أن أحمله. اني أرى ما عليَّ أن أفعل من الخير ولا أفعله. وأنا شاعر أنه لا بدَّ من الشجاعة والقوة لإرضاء المخلص وتتميم رسالتنا الكبرى، وأنا لا أقوم بعمل ما. ليس لديَّ الشجاعة لأكون أحمق في سبيل مخلصنا يسوع المسيح. كم نتمنى في الصلاة والتأمل وأما القربان الأقدس أن نقوم بجليل الأعمال... وعندما نصل الى التنفيذ، يا لشقائنا وجبننا ... صلِّ لأجل كاهنك المسكين، قد تؤول الأحوال الى الأفضل في الناحيتين المادية والروحية. يخاف اخوتك المستقبل. الأخ بول قلق لدفع الفوائد المترتبة علينا والمتراكمة طيلة ثلاث سنوات. انه لا يعتمد كثيراً على العناية الربانية التي تقودنا دائماً. وهو لا يجرؤ ولا يؤمن بعمق. ليس لديه الإيمان القوي في المشروع، ذاك الايمان الذي يجعل الانسان يباشر بالعمل ويتابعه بشجاعة. ان لم تشجّع الاخوة فسوف ييأسون بسرعة. قد تكون لهم الثقة بنهاية المشروع السعيدة، فان رؤية هذه الكنيسة الجميلة التي ترتفع أمام أعيننا لكافية

لتثبت فينا الثقة بمشروع الطفل يسوع، غير انهم يودون أن يروا وسائل الرب، أن يلمسوها بأيديهم، وهذا ما لا يشاؤه الله، والا فأين أجر أعمالنا ان فهمناها ولمسناها بأيدينا؟ وكيف يستطيع فكرنا أن يتخيلها؟ ألا يهزأ الرب من أفكارنا ومخططاتنا وآفاقنا المحدودة؟ الكلمة التي قلتها في رسالتك تروّع الأخ بول المسكين ... اذ قلت أن لا نعتمد على الفطنة البشرية بل علينا أن ننتبذها بصورة كاملة ... انه لا يستطيع أن يُقدِم على التجرد وعلى نكران الذات الكامل، بل يفضّل الوسائل البشرية الصغيرة والادخار المعقول. علّمه وقل له بالحاح أن لا يعتمد عليها بل على العناية الربانية.

أظن أن السيدة اوجه تغادر "الدار" نهائياً. الأغنياء صعب مراسهم... انهم لا يتحملون الفقراء. يجب الا يروهم عن قرب ... ولا أن يروا عيوبهم. يريدونهم كاملين، ولا يمكنهم الانسجام معهم. أظن انه سيصعب عليك جداً أن تلاقي أغنياء جديرين بأن يتموا بإخلاص المخطط الذي وضعته، لأن قول المسيح يسوع: الويل لكم أيها الأغنياء، نراه، ويا للأسف، يطبّق يومياً. وكذلك قول داود النبي: طوبي لمن يفهم الفقير. ولكن عليك الا تيأس. لو بقيت في "الدار" قد تجد دواء لهذه الصعوبة، ولكنت عرفت كيف تنسجم مع الأغنياء فأقنعتهم أكثر مني ومن الأخ بول. منذ أن غادرتنا أراد الأغنياء أن ينظموا "ألدار" فكان لزاماً علينا أن نطرد الجميع: الحارس وعائلة لمبير وآخرين كثيرين. كانوا يتهمون هؤلاء المساكين بآثام عديدة لا تغتفر. وأنا شخصياً لم أحصل على معونة عندنا طلبتها من أجل الفقراء، فلا أخسر شيئاً هاماً ان رحلوا. ليكن اسم الرب مباركاً على كل حال ...

... ليباركك الرب في دروسك وليساعدك في تقديس نفسك، اننا نصلي على هذه النية يومياً.

الى اللقاء، أخي العزيز في المسيح، الى اليوم الذي يمكنني أن أدعوك فيه "زميلي" العزيز بواسطة الكهنوت المقدس الذي سيمنحك اياه يوماً السيد المسيح.

انطوان شفريه

م 13

"الدار" في نهاية حزيران 1859

أخي

لازمت الصمت منذ أمد بعيد، الا أن الاهتمام بحفلة المناولة الاولى هو السبب. لقد سررنا قليلاً من حفلتنا، وأوصلت الاولاد حتى سر التثبيت يوم الخميس في 23 حزيران، عيد القربان الأقدس، حيث حصل لي الشرف أن ألاقي نيافة الكردينال وشخصيات أخرى. لقد تحدث الجميع كثيراً عن كنيستك وجميعهم يرونها رائعة ويتمنون أن ينجح المشروع. أما نيافته فيظهر انه ل يرغب في أن تصبح كاهناً بسرعة، بل يود أن تمضي كل الوقت اللازم لدراسة اللاهوت حتى في فرنسا. ولقد استغرب من عدم زيارتك اياه أثناء اقامته في روما، وقال لي ضاحكاً: ذلك، لأني استقبلته استقبالاً فاتراً وفي المرة الاولى، ولكن يجب ألا يمنعه ذلك من اعادة الزيارة. وهو يتمنى لو تعود لتنهي أعمال "دارك" ولا تعاود الدراسة الا متى انتهيت

منها بصورة كلية، أو على الأقل متى أصبح بقاؤك هنا غير ضروري. ويرى نيافته أن مشروعاً عظيماً وهاماً كهذا المشروع لا يمكن أن ينتهي الا على يدك أنت وحدك. أما كهنوتك فيمكنه أن يتأخر دون ضرر. ستصبح كاهناً ولكن في الساعة التي يشاؤها الرب. لم أفاتح نيافته بقضية ثوبك الا اني أظن أن الأخ بول قد حدثه عنه وأخبرك برأيه.

ولكن هناك موضوعاً هاماً جداً يشغل جميع الافكار، وأنا نفسي أتأمل فيه منذ زمن بعيد، دون أن أفتح فمي بكلمة عنه، خوفاً من ذاتي وخوفاً منك. غير انه لزام عليَّ الآن أن أفاتحك به بسبب مسؤوليتي لروحية: وهي قضية مشروع المناولة الاولى.

هناك أمر واضح: منذ أن نشأت "الدار" توقف مشروع المناولة الاولى. فتحضير الأولاد ناقص جداً، ومن يستمر منهم على ممارسة الأسرار قليلون. لا ينكر الأمر أحد ولا يسعنا الا أن نتحسَّر على هذا الواقع المر. جهودنا كلها لا تؤدي الا الى نتيجة ضئيلة جداً. لا بدَّ من معالجة هذا الداء. لا يريد الله طبعاً أن يبقى هذا المشروع الجميل مبتوراً وبإمكانه أن ينتج أشهى الثمار. فأنا اذن بصفتي كاهناً ومسؤولاً عن نفوس آتي اليوم لأعرض عليك رأيي وبراهيني. أرجو أن تزنها أمام الله وأن تعطيها ما يلزم من تدبير.

أقول اذن ان مشروع المناولة الأولى وممارسة الأولاد للإسرار لا يمكنه أن يأتلف ومشروع بناء "ألدار" انهما عقبة الواحد أمام الآخر. والسبب الأساسي هو أن "الاخوة" لا يمكنهم أن يقوموا بالمشروعين معاً. ليس باستطاعتهم أن يلبوا حاجات سكان "الدار" وأن يقبضوا آجار البيوت وأن يجمعوا التبرعات وأن يعلِّموا أخيراً الأولاد. كيف تريدهم أن يذهبوا لإلقاء دروس التعليم الديني ورأسهم ممتلئ متاعب ومشاكل وأعمالاً؟ كيف نوحي بالإيمان والتقوى للأولاد عندما نرى أنفسنا مرغمين باستمرار على العيش مشتتين في حياة خارجية بحتة. ربما تجاوبني بأشياء كثيرة الا اني مقتنع أشد الاقتناع أن الاخوة المسؤولين عن التعليم المسيحي يجب الا يعملوا شيئاً بتاتاً والا يفكروا الا بهذا الواجب ... وكل عمل آخر يتنافى مع عملهم هذا ... الا ترى كيف أن جمعية الاخوة المريميين لا يهتمون الا بأولادهم؟ من الضروري جداً أن يتبع الاخوة الأولاد الى الكنيسة عندما يذهبون اليها، والى، العمل حين ينصرفون اليه، ليثبتوا فيهم روح محبة العمل، وليكلموهم عن الفضيلة والصلاح في كل حين وفي كل مناسبة، ولكي ينهوهم بلطف ومحبة حين يزلّون. كيف تريد أن يكتسب الأولاد الفضيلة والعلم ومحبة العمل عندما يرون مينيتيه وبونوا وغيرهما يلعبون أو يقرأون أو يتلهون بألف شيء العمل اليدوي. كلا الفضيلة لا تهبط من السماء بهذه الطريقة. لا بدَّ من اخوة يحبون الأولاد ويفهمونهم ويتفانون في سبيل تربيتهم. ان عطش ولد أو جاع فليذهب الى المطبخ يسأل كسرة من الخبز ... يستقبلونه بسطل من الماء على هامته وينعتونه بالحيوان أو يحتقرونه أو لا يعيرونه اذناً صاغية. فكيف تريد أن يحب الأولاد المنزل ويعودوا اليه بسرور في المستقبل؟ ... وستبقى الحال على هذا المنوال طالما ليس لديك الا أطفال يربّون أطفالاً ... آه! لو فهموا قليلاً معنى التفاني ... الا انه صعب عليهم أن يحصلوا على هذه الروح ... وصعب عليهم أن يعطوها غيرهم ... فلا بدَّ اذن، وبإلحاح وبسرعة، من

اخوة يعرفون المشروع ويحبونه، لكي يديروه ويعلّموا الأولاد ويتبعوهم أينما ذهبوا. ويجب أن يتفرغ هؤلاء الاخوة لخدمة أولادنا الأعزاء. غالباً ما تلاشى عملي كله، في طرفة عين، بكل ما شرحته لك. فان كان بعضنا يربط والآخر يحلّ، فكيف تتقدم؟

وهناك عائق في نزلاء "ألدار" أنفسهم. انه لواضح أيضاً أن سكان "الدار" لا ينظرون الى الأولاد نظرة الرضى، فإن أصواتهم تزعجهم ولا يلقّبونهم الا بكلمة "زعران" وهم يحتقرونهم. ليس منظرهم شهياً وجميلاً عندما يأتون في أسمالهم البالية والرثة .. لذلك فان السيد اوجه الذي يتقزز من النظر اليهم قال لي مرة وهو يعطيني بضع زجاجات من النبيذ لأجدد بها قواي: انتبه الا تعطي منها لزمرتك ... مساكين هؤلاء الناس .. كم هم سطحيون في أفكارهم وأقوالهم ... كذا يفكر العدد الأكبر منهم. لذلك فالأولاد منبوذون ومحتقرون ... فكيف تريدهم أن يأتوا وسط جماعة تحتقرهم وتنبذهم؟

ولدينا عائق في الحارس الذي يوبخهم باستمرار ويطردهم ويضربهم أحياناً. ان صعد ولد على حجر فيجب أن يهبط عنه حلاً وسريعاً، والمهندس يصيح. ليس الخطأ خطأ الحارس انما هو خطأ الحجر، لماذا وضع هنا؟ ... انه يحرمني الآن حريتي .. ان لعب الأولاد لعبه "التخبّي" في أحد البيوت الجديدة فيُطرَدون منها بسرعة مخافة أن يشوّهوا الجفصين أو الزجاج أو الاسمنت ... مساكين هؤلاء الأولاد ... ان الأحجار والبيوت حلّت محلّهم .. فلا يعودون ... ويذهبون الى أماكن أخرى رغماً عنا، أو بالأحرى نحن نرغمهم على اللجوء الى أماكن أخرى لأننا منعناهم عن أمكنتم.

وهناك سبب عميق آخر: الأولاد، شأنهم في ذلك شأن جميع الناس، يحبون أن يكون لهم مكان خاص، وأن يكونوا لوحدهم. أما هنا فلا يمكننا أن نقول انهم يشعرون بهذه الوحدة وبالاهتمام عندما يرون أنفسهم محاطين بكل هؤلاء الناس. وأنا لا أستطيع أن أقول عن نفسي اني لهم فقط عندما أرغم على تركهم في كل لحظة لأقابل السيد فلان أو السيدة فلانة أو هذا أو ذاك الذين ينادونني. كما اني مجبر على تركهم لأمور عديدة جداً تخص "الدار" أو غيرها من الامور. واخوتك أيضاً لا يمكنهم أن يأخذوا الأولاد الى النزهة، مع أن ذلك ضروري جداً، اذ انهم مجبرون على تلبية آلاف الامور الصغيرة. اني أشارك الأولاد العابهم أحياناً كي أنعشها وأحييها، الا انه لا يجدر بي أن أركض باستمرار وسط جماعة من الناس يقفون لنا بالمرصاد ليتهكموا علينا. كيف يمكنني بعد ذلك أن أعظ في الكنيسة وأن أقيم الذبيحة الالهية عندما يكون الناس قد رأوني أركض مع الأولاد ... لا بدَّ من التزام الحدود في كل شيء... تلعيب الأولاد من مهام اخوتك لا مهمتي أنا، وليس لهؤلاء الوقت لذلك.

أظن انه في الامكان النهوض بمشروع الأولاد في مكان آخر. من الصعب تقويم عمل حيث فشل لن يأتي الأولاد الى هنا بطيبة خاطر لأنهم أضاعوا تلك اللذة، وأنا أتحدى كل انسان أن يستطيع أن يجذبهم اليه. أما في مكان آخر فبالعكس، اذ أن الاماكن الجديدة تجذب تلقائياً ويمكننا ان نأمل بالتالي عملاً مجدياً. ومن ناحية أخرى انك تحاول، وكذلك اخوتك، أن تتخلصوا من كل ما هو زمني، فأية وسيلة أنجع من أن

تؤسس مشروع الأولاد في مكان آخر وتترك في "الدار" وكيلاً عنك يقطنها ويرعاها أو مجلس ادارة يسوسها .. أما أنت فتقطن في مكان آخر وتأتي اليها من حين الى آخر لتدبر الأمور: على كل حال هذا رأيي، واعمل ما تشاء.

أما بالنسبة لمشروع "ألدار" فهو مشروع مستقل تؤسسه من أجل الكهنة ومن أجلك أنت عندما تصبح كاهناً، بنعمته تعالى، وليس من أجل الاخوة. غير انه يجب أن يكون مشروعاً روحياً بحتاً يقوم به كمنة أو رهبان فقراء يعطون مثالاً حياً عن الفضائل الكهنوتية، بقدر ما يؤتيهم حبهم وتقواهم.

هذه هي أهم الأفكار التي تراودني. والغريب جداً في الأمر انها هي نفسها تراود جميع الاخوة والاخوات دون أن يكون ق\ بثّها فيهم أحد. تلك كانت أفكاري منذ زمن بعيد. وعندما أطلعني كل منهم على أفكاره ورأيتها مطابقة لأفكاري لم أستطع الا أن أرى فيها ارادة الله. وما استغربت منه بالأكثر هو أن الاخ شارل البعيد عن مشروع الأولاد قد راودته الأفكار ذاتها وهو يعطيها أهمية كبرى كهؤلاء الذين لا يزالون يعملون جدياً في المشروع.

أرجو أن تفكر أمام الله بجميع ما أطلعتك عليه وأن تجيبني بما يدور في ذهنك من رأي وأفكار كي نعرف كيف نتابع.

كيف كانت سفرة الاخ بول؟ قدّم له تحياتي.

الى اللقاء. أخوك في الرب

انطوان شفريه

م 13

"الوعظ رسالة الكاهن العظمى"

❖ "الاهتمام بما هو ضروري"، هذا ما يظهر بجلاء من خلال كلمات الاب انطوان. لا بدَّ من التأسيس على الصخر، ولذلك فيجب الوعظ ببساطة. البساطة في الكلام وفي تهيئته لئلا نقع في خطر اخفاء الجوهر، وهو المسيح، أو تناسيه. وان هذه البساطة تولد العمق الروحي في لقاء البشر فنتوغل في قلوب المستمعين ونُدخل فيهم الجوهر أيضاً. وهذه البساطة تخلق المشاريع الرسولية.

يجب تعليم الجهال وتبشير الفقراء. تلك هي رسالة سيدنا يسوع المسيح. وهي رسالة كل كاهن، ورسالتنا بنوع خاص، هذا نصيبنا: أن نتوجه نحو المساكين وأن نتحدث عن ملكوت الله الى العمال والمتواضعين والصغار والمهملين والمتألمين. آه! ليتهم يسمحون لنا بالذهاب، كسيدنا يسوع المسيح وكالرسل، الى الساحات العامة والمنازل (أعمال الرسل 20: 20) والمعامل والعائلات لكي نحمل اليهم ايماننا ونبشرهم بالإنجيل ونعلمهم الدين المسيحي ونعرّفهم على يسوع المسيح ... (أعمال التطويب الجزء 4 ص 161)

ان رغبتي هي أن أهيئ للكنيسة مبشرين صالحين وأن أشكل جمعية من الكهنة يعملون في هذا الهدف. تلك كانت مهمة سيدنا يسوع المسيح "لقد أرسلني لكي أحمل البشرى السعيدة للفقراء" (لو 4: 18) آمل أن تتشربوا هذه الأفكار وأن تصبحوا كهنة غيورين ومستعدين دوماً للذهاب الى كل الجهات لتبشير المساكين"

(من رسالة الى الإكليريكيين عام 1877)

"الناس لا يأتون! .. فلنذهب اليهم لنجذبهم الى يسوع. ت ح 450

وقال لراهبات البرادو:

"انكن لستن مدعوات الى البقاء معاً. سوف أفرّقكن لأرسلكن حيث تدعو الحاجة للعمل في مشروع الله. اني لا أريد أن أضعكن الواحدة فوق الأخرى مثل "كومة" من الحجارة. لقد أرسل سيدنا يسوع رسله فتفرقوا في العالم. هذا ما سأفعله معكن" (أعمال التطويب 3 ص 107)

"لا يمكنا أن نعسكر في منزل أو أن نهتم بتفاهات أو بحماقات أو بأحاديث فارغة. نحن بحاجة اليوم الى مسيحيين والى رجال عمل يثقفون الشعب ويأتون بأفعال المحبة في العالم" م 10

"عندما أرسل المعلم الالهي عمَّاله في العالم لم يرسلهم لكي يتسولوا أو يطلبوا شيئاً أو يبنوا المنازل أو لكي يستقروا في العالم. انه أرسلهم لكي يعلموا ويبسروا ويعمدوا. هذه هي الغاية القصوى ...

فعندما نذهب اذاً الى مكان ما فالأمر الاول الذي يجب أن تنمه هو التعليم والتبشير والتعميد والشفاء وخدمة جميع الناس. هذه مهمتنا الاولى.

فاذا بدأنا بالبناء والتنظيم وشراء الأراضي و "الشحادة" فإننا لا نتم مشروع الله، اننا نتم مشروعاً مادياً. علينا أن نبدأ بالمشروع الروحي .. علينا أن نعطي الأهمية الكبرى للعمل الروحي قبل كل شيء: التثقيف والتبشير هذا واجبنا الاول... علينا أن نبدأ المشاريع والرعايا بالتبشير والتعليم والصلاة ونشر الحياة الروحية وأن نترك لله مهمة مساعدتنا بالمال والمنازل. ما فائدة المنازل والمال اذا لم نتم مشروع الله؟ ابدأوا أولاً بالنفوس ...

ماذا يجب أن نفكر بهؤلاء الذين لا يفكرون الا بالبناء وتجميل رعيتهم وكنيستهم. وفي هذه الغاية تراهم يسعون من دائرة حكومية الى أخرى ومن محسنين الى محسنات؟ يا للأسف انهم يهملون النفوس للاهتمام بالحجارة ... لم نُرسل لكي نبني بل لنهدي الخطأة"

ت ح 306 – 307

"اني لا أسأل الله الا شيئاً واحداً ألا وهو أن يعلمني كيف أعطي الانجيل بصورة جيدة، وأن ألقّن الفقراء والأولاد. ما أجمل الكلام على الله، يا أبنائي الصغار! (في رسالة الى الإكليريكيين عام 1873)

"انني لا أسأل سيدنا يسوع المسيح من أجلكم ومن أجل جميع من في المنزل الا الميل الروحي العميق الى التبشير ومحبة فضيلة الفقر. اذا استطعنا أن ننمو في هذا الميل وفي محبة المسيح ربحنا كل شيء.

ما أتعس أن نرى جماعة كبيرة لا تهتم الا بأشياء غريبة عن كل ما من أجله يجب أن نكرس له أنفسنا. ألسنا هنا من أجل ذلك ومن أجل ذلك فقط: أن نعرف يسوع المسيح وأباه وان نعرّف البشر عليهما؟ أليس هذا جميلاً ويأخذ حياتنا بأسرها، دون الحاجة الى البحث بعيداً عما يملأ فكرنا؟ لهذا السبب فان رغبة قلبي كلها أن نحصل على اخوة واخوات يبشرون حقاً. هذا ما أسعى اليه أنا شخصياً بفرح وسعادة. أن نعرف كيف نتكلم عن الله وكيف نكشف عنه للمساكين والجهال، هذه غاية كل حياتنا وحبنا.

اجتهدي اذا، اختي العزيزة، في أت تصلي الى هذه الغاية، غايتنا القصوى. الباقي لا قيمة له. واذا ما استطعت أن أضع فيكن جميعاً هذه الرغبة وهذا الميل فأكون قد ربحت كل شيء"

(رسالة الى الأخت فيرونيك عام 1873)

يجب أن يكون في قلبنا الرغبة في التثقيف وفي تعليم الآخرين ما نعرف. نحن هنا لهذه الغاية ... التعليم هو كل شيء... غاية مشروعنا هو ان نعرِّف عن الله، ومن لا يرغب في ذلك فليس له مكان بيننا.

(دعوى التطويب الجزء 1 ص 107)

"كيف نعظ؟"

يجب الوعظ بإخلاص.

لا تتكلم الا بما يعلّمنا اياه الرب، ولا تتفوه بشيء من عندنا.

لا نعلّم الا ما علّمنا يسوع المسيح: البشرى السعيدة؛ أما تعاليمنا نحن فتعاليم بشرية لا الهية.

يجب الا نعظ عن أنفسنا بل عن يسوع المسيح.

الوعظ ببساطة وبسلطة وبثقة.

"متى نعظ؟"

كل يوم، ومراراً يوم الاحد خصوصاً، بل وفي كل لحظة. على الكاهن أن يكون مستعداً باستمرار للكلام كسيدنا يسوع المسيح الذي كان يتكلم ويعلّم ويعظ في كل لحظة وفي كل مناسبة.

قبل القداس: شرح القداس وتلاوة صلواته علناً.

بعد الانجيل: شرح ما قُرئ من الرسائل والانجيل ببساطة. أما بعد صلاة الغروب: فشرحُ السبحة الوردية. وفي المساء نشرح "درب الصليب" قبل تلاوته ثم تتلوه بشكل تعليمي. وأخيراً أثناء الصلاة: شرح احدى وصايا الله مع فحص الضمير.

"أعلنْ كلام الله وعظْ له في وقته وفي غير وقته، وبّخْ وانذرْ بصبر جميل ورغبة في التعليم".

(2 تيمو 4: 2)

"بمن نبشر؟"

بيسوع المسيح: "الحياة الابدية هي أن يعرفوك أنت الاه الحقيقي وحدك ويعرفوا الذي أرسلته يسوع المسيح". (يو 17: 3)

اني لا أعرف الا يسوع المسيح واياه مصلوباً". هذا أساس كل شيء: الوهيته، انها أحد الاسس الهامة. "بشّروا بالإنجيل" (مر 16: 15)

ليتنا نصل الى تقوى أقل والى ايمان أعمق.

"عمَّا نتكلَّم؟"

عن السبحة الوردية، ودرب الصليب، والقداس ووصايا الله، وتعاليم يسوع. لنتكلم عن الله وعن يسوع المسيح وعن الكنيسة.

"أين نعظ؟"

في كل مكان، مثل يسوع المسيح، وفي كل مناسبة حيث نأمل أن يكون لكلامنا بعض الثمار. هكذا فعل الرسل أيضاً: "علناً وفي البيوت".

آه! لو يُسمح لنا بأن نذهب الى البيوت لتعلّم المؤمنين ...

الناس لا يأتون؟! ... فلنذهب اليهم ..

ما الذي يمنع تقسيم الرعية الى مناطق، تقضي في كل منطقة منها شهراً ... تقضيه في مكان ملائم، في مستودع أو صالة كبيرة أو أي منزل نعلِّم فيه الناس كل مساء ... فنتم حينئذ رسالة الوعظ والارشاد.

"مثال يسوع في الناصرة:"

دخل يسوع المجمع فقُدِّم اليه الكتاب المقدس ففتحه وشرع يقرأ ثم شرح النبوءة.

وهكذا علينا أن نقرأ مقطعاً من الانجيل أو من العهد القديم ثم نشرحه. هذه هي طريقة التعليم العادية .. وهكذا بالنسبة الى الرسائل والسبحة ودرب الصليب والتعليم المسيحي مساء.

"التعليم المسيحي"

هو التعليم البسيط، بأسئلة وأجوبة. الكاهن هو المعلم وليس الكتاب. لم يقل السيد المسيح: اقرأوا وتثقفوا، بل قال: تلمذوا الامم كلها.

ما أتعس أن نرى الأولاد جلوساً طيلة ساعتين يومياً يتعلمون كلمات لا يفقهون لها معنى، فيملون من ترديد الشيء نفسه مراراً عدة. ان ذلك لمرهق لهم وللمربين، مع انه يمكننا أن نعطيهم، بربع ساعة فقط، ايماناً أعمق ومحبة أسمى وديانة أسهل...

عندما نعلّم البالغين والجهال لا يكفينا أن نقول لهم: خذوا هذه الكتب واقرأوها. لا بدَّ من أن نثقّف نحن أنفسنا وأن نضع أنفسنا في مستوى العدد الأكبر منهم كي تصل اليهم كلماتنا.

"الطريقة"

يجب أن نبدأ بالحقائق الاساسية ثم تتعمق فيها. في بناء البيت ألا نبدأ دائماً بالجدران الضخمة ومن ثم نصل الى الأشياء الدقيقة والى الزينة؟

أما الحقائق الأساسية فهي: الله، الخطيئة، يسوع المسيح وتعاليمه وموته وكنيسته، الأسرار، القيامة العامة والدينونة.

ويجب خصوصاً أن نبث الايمان بتلك الحقائق الكبرى والا نضيع وقتاً في شرح التعاليم التي لا طائل تحتها، لأنها ليست مبنية على الأساس ...

"غاية التعليم"

انارة العقل بالمعرفة، ولمس القلب بالحب، وحثّ الارادة على العمل.

الايمان والحب والعمل تلك هي الأهداف الثلاثة التي يجب أن نصبو اليها في كل تعليم.

لنعطِ الايمان بالمعرفة وبالتفكير وبرؤية الأمور. ولننشئ في المستمعين حب الحقيقة التي نعلّمها، ولنحثّ الناس على العمل بانسجام معها بعد أن عرفها البشر وأحبوها.

ولكي نصل الى هذه النتائج الثلاث لا بدَّ من أن نأخذ كل الوسائل الممكنة، وكما يقول القديس بولس، يجب أن نتمخض كالأم وأن نعطف كالأب وأن نهب حياتنا حباً للبشر".

ت ح 451 – 452

"تثقيف معلمين للدين المسيحي"

لا بدَّ من تلقين الدين المسيحي غالباً وكل يوم. يجب أن يهيّئ المعلم درسه كتابة. فليشتر دفتراً ضخماً أو عدة دفاتر، وليكتب في الهامش عنوان أو عناوين الدرس، ثم ليزد يومياً على الموضوع ما تعلمه هو نفسه في قراءاته وتأملاته. وبعد مرور بضع سنوات اذا به يمتلك دفتراً جاهزاً، ممتلئاً تعاليم وجدها هو نفسه. فيمكنه أن يغرف منه ما يشاء من حقائق وقصص ومعلومات ... يكفيه فقط أن يخشع قليلاً قبل الدرس وأن يستجمع أفكاره. وبما أنه هو نفسه قد نظم دفتره هذا فهو لن يجد كبير مشقة في استخراج ما شاء من دروس يلقنها من جديد طلاباً جدداً ...

م 12 ت ح 452

❖ لقد درس الاب انطوان موضوع التعليم المسيحي بنوع خاص وبعمق. انه، بالنسبة اليه، ضرورة حتمية اذ كان يهيّئ الأولاد لحفلة القربانة الأولى التي اهتم بها أكثر أعضاء البرادو. غير انه لا يكتفي بهذا الموضوع بل يتعداه دوماً عمقاً وروحاً. وعلاوة على ذلك فهو يتحرر من كل طريقة أو اسلوب ويختار ما

يراه أكثر ملاءمة مع نفسية الأولاد. وان الفكرة الأساسية التي يشدّد عليها هي أن التبشير بالإنجيل يجب أن يكون لجميع الناس، كما فعل يسوع المسيح والرسل وخصوصاً القديس بولس.

"انارة العقل"

لقد أعطانا الرب عقلاً، وان كان متفاوتاً بين واحد وآخر. انه اول قوة فينا ومنه تستمد القوى الأخرى عملها. فالقلب لا يحب الا متى عرف، والارادة لا تعمل الا متى فَهِم الانسانُ وأحبّ.

فلا بدَّ من التحدث أولاً الى العقل وافهام الحقيقة. ولذلك يجب أن نعرض حقيقة واحدة ونوضحها على أكمل وجه وأبسطه. ولنستعمل الوسائل الجديرة بأن توصلنا الى هذه الغاية، كي ينشأ الايمان على المعرفة والاقتناع ... أما تكرار الكلمات والجمل ودراستها غيباً فلا يجدي نفعاً ولا يؤثر على النفس والقلب، اننا نقضي ساعات طويلة لنعلّم الأولاد كلمات لا تفيدهم ... اذهبوا بشروا .. وليس اذهبوا اقرأوا .. ان التعليم المسيحي هو علم النفس والقلب وليس كباقي العلوم التي تستند الى الملموس والى المادة والتاريخ والنحو والجغرافيا التي يجب أن نحفظها غيباً. أما الدين فهو شأن الروح والقلب. اننا نعطي الايمان والحب بالقول والعمل وليس بالكتب. اهبوا بشروا .. الكتب تعلم ولكنها لا تعطي الايمان، هي تساعد ولكن الانسان أفضل من مئة كتاب.

انه لأسهل ان نحفظ أمراً فهمناه من أن نحفظ حقيقة لم نفهمها. لنُلزم الذاكرة بأشياء قليلة، بالضروري جداً: كالصلوات والحقائق الأساسية وقواعد السلوك .. ولنضع خصوصاً في القلوب الايمان بيسوع المسيح ومحبته.

لنبدأ بالحقائق الكبرى ثم لننتقل الى الصغرى. ولا نباشرن بموضوع ثان ما لم يفهم الأولاد الأول. اننا لا نبني الطابق الرابع قبل الاول. ولنعطِ عن كل حقيقة أو موضوع شرحاً بسيطاً وقصيراً.

أعيدوا الامثولة مراراً وتأكدوا من أن الأولاد قد استوعبوا قبل أن تنتقلوا الى غيرها. وفي كل مرة لخِّصوا الدروس السابقة ليتذكرها الأولاد ولتنطبع في قلوبهم الحقائق الكبرى: الله، يسوع المسيح، الكنيسة.

وبعد كل امثولة صلوا في موضوع الدرس وعلموا الأولاد أن يمارسوا ما درسوه.

"الارادة والعمل"

تتميم المطلوب منه، تلك هي غاية التعليم المسيحي: الفهم والمحبة والعمل. انها ثمرة النعمة. لهذا السبب يجب أن ندل الأولاد على ممارسات دينية يطبقون فيها ما تعلموه .. وتطبيق تلك الممارسات هو أهم مرحلة في التعليم المسيحي لأنه الغاية منه .. لذا وجب أن تسألوا الأولاد عن ممارستهم لما اوصيتموهم به.

ولا بدَّ من اقناع العقل. فيجب اذن الابتعاد عن البراهين العامة السكولاستيكية التي تُفرَض فرضاً، والتفتيش عن البراهين الكتابية المستمدة من أقوال السيد المسيح ومن طبيعة الأشياء الخارجية والمنظورة. فهناك شبه كبير بين الأمور الروحية والأشياء الطبيعية. ما يبرهن على الطبيعة يصلح لان يبرهن على الروح. فنحن نرى مثلاً أشياء عديدة لا نفهمها ولكننا نؤمن بها دون تردد. فلننطلق من هنا لنؤكد حقيقة

الأمور الروحية التي لا نراها. البراهين الطبيعية أشد وقعاً على نفس الشعب البسيط وعلى فكر الجهال من كل البراهين المنطقية والمستمدة من الكتاب المقدس. انه لأمر هام للإقناع ...

أما الحقائق الأساسية الكبرى فهي أن هناك الهاً في ثلاثة أشخاص، خالق السماء والأرض والانسان. وان الانسان قد أخطأ ضد الله ولكن الله لم يهمله بل تجسد على الأرض في شخص المسيح. وان هذا المسيح هو بالحقيقة اله وانسان، جاء أرضنا كي يعلِّم البشر ويخلصهم ولقد أسس الكنيسة والأسرار السبعة، وانه سيعود في نهاية العالم ليدين البشر فيكافئ الصالحين بالنعيم ويجازي الأشرار بالجحيم.

على كل انسان، كبيراً كان أم صغيراً، أن يعرف ه1ه الحقائق البديهية قبل أن ننتقل معه الى الحقائق الأخرى ...

التأثير على العاطفة

بعد أن أنرنا العقل يجب أن نثير العاطفة. انه مفعول النعمة. علينا أن نجعل الأولاد يحبون ما فهموا من حقائق، وأن نظهر لهم أن الرب صالح وانه يستحق محبتنا.

فمن الضروري اذن أن نصلي، بعد الدرس أو أثناءه، صلاة لها علاقة بالموضوع. ثم لنعط تطبيقاً عملياً عليه.

تحريض الإرادة

أخيراً لنحرّض الأولاد على أن يعملوا المطلوب منهم بما يخص الحقيقة التي شرحناها.

فالفهم والمحبة والعمل ... تلك هي مراحل درس التعليم المسيحي. أما العمل فهو الغاية الأخيرة والمرحلة الأهم لأنه ثمرة التعليم المسيحي. أية فائدة من شجرة لا ثمر لها؟ ..

ولا بدَّ من أن نسيّر معاً المراحل الثلاث: الفكر والقلب والإرادة. فإن نجحنا نحصل على مسيحيين حقيقيين سوف يمارسون ديانتهم بعمق واخلاص. لنتمسك أيضاً بالممارسات الصغيرة التي ندل عليها لأنها مقياس لإخلاص الأولاد، ولنذكرهم بالحقائق التي شرحناها لهم. م 7

❖ غير أن الاب انطوان، على غرار معلمه، لا يرى البتة أن الاهتمام بتبشير الفقراء ينبذ التفكير بالأغنياء. بل بالعكس، فإن رسالته حيال الفقراء وسيلة لتبشير الأغنياء أيضاً. اذ انه يثير غيرتهم كي يتجهوا نحو الرب الذي سوف يمنحهم روح الفقر. بل ان درسنا بإمعان حياة الاب انطوان نلاحظ أن كاهن الفقراء يستمد قوة خصوصية ليبشر الأغنياء أيضاً.

الى السيدة فرانشه

البرادو في 3/ 10/ 1863

سيدتي واختي بالرب العزيزة

ظننتُ انني أدعوك الى شرف عظيم عندما سألتك أن تمشّطي شعر صغارنا الفقراء. قال سيدنا يسوع المسيح اننا نخدمه شخصياً عندما نخدم الفقير. وأنت رفضت ليسوع هذه الخدمة البسيطة وحرمت

نفسك نعمة كبيرة. قمت أنا نفسي بالخدمة وشعرت بسرور كبير.. لذا، فمن، الأن وصاعداً، لن أترك لأحد خدمات كهذه بل سأقوم بها أنا نفسي لأنَّ معلمنا الصالح يكافئ بسخاء تلك الخدمات التي نؤديها له. بيد اني أطلب منك أن تأتيني بمشط جيد في المرة القادمة كي أستطيع أن أقوم بالخدمة بطريقة أفضل. واني أسأل الله من أجلك كي يمنحك السخاء والاندفاع في خدمته.

ان ظننتِ أن الله نائم ولا يصغي اليك فأيقظيه، كالرسل. اصرخي نحوه بقوة عندما تصلين، واجتذبي بركاته بأعمال الرحمة. لقد تعلمتُ منذ زمن بعيد انه لأسهل أن نمشط شعر الأولاد من أن نمشط عقولهم، وأن نغسل أرجلهم من أن ننظف نفوسهم. فقبل مجيئك اليَّ صلي الى الرب من أجلي كي أجد دواء ناجعاً لك.

وتذكري جيداً أن ما يصيبنا لا يمسنا الا بسماح من الرب، وان سبل الرب مجهولة بالنسبة الينا. كوني هادئة في أحزانك وردّدي كمعلمك الالهي: لتكن ارادتك لا ارادتي. وهذا الاستسلام المتواضع لله سيكافأ لأنه، مهما عزَّ شيء علينا، لا يعلو على ارادة الله القدوسة التي نخضع لها ونحبها.

لتحل بركة الرب يسوع وأمه الطاهرة عليك وعلى ابنك العزيز وعلى زوجك الصالح.

انطوان شفريه

م 13

الى الآنسة اميلي تاميزيه 1872

اختي العزيزة جداً

... ما هذه الاضطرابات؟ ما هذا القلق "من فوق" و "من أسفل"؟ ما ذلك الا الكبرياء والغرور ... ضعي أرضاً كل ذلك وستصبحين مسرورة بل سعيدة. لأننا لا نحصل على السعادة بوجود شهواتنا.

الحياة المسيحية والموت عن الذات، هذا جلّ ما يلزمك. اتركي العالم وشأنه، لا تهتمي به. افتكري بخلاصك وبكمالك، ان كنت جديرة بهما، ولا شيء سواهما.

ليباركك يسوع وليعطك قليلاً من التواضع ومن المحبة الحقيقية.

انطوان شفريه

ابقي متواضعة ومكفِّرة عن الخطايا وناسية لذاتك، لا تهتمي بأخذ أحد معك.

انطوان شفريه

م 13

❖ اكتفى الاب انطوان بهذين التوجيهين الى الآنسة تاميزيه وكان لهما الوقع الخيّر في نفسها.

عندما نأخذ بجدية، كالأب انطوان، رسالة الكلمة والتبشير علينا الا نفاجأ بالنعمة العظمى والرهيبة التي يمنحنا الله اذ يشركنا بعذابات الكلمة الذي تجسد لكي يعلمنا ويخلصنا.

اليكم الآن هذه الشهادة المؤثرة، التي كتبها انسان شارك بالقلب اضطرابات المسيح في بستان جتسماني:

" نهاية الصراع ... حديث بين الله وابنه، الحق بالذات.

وينتهي الصراع ...

بموت من؟ ... بموت البار.

بموت من دافع عن الحق.

ولكن هذ يموت الحق؟ كلا!

لم يمت الاَّ جسده.

الحق لا يموت. الله لا يموت.

ويبقى الحق. وسيبقى دوماً أبداً.

هناك اناس قبلوا الحق ونشروه في الأرض.

وماتوا في سبيل الحق.

الحق هو يسوع المسيح.

وهو الذي سيحيي الحقيقة.

كلما متنا من أجل الحق ازداد الحق انتشاراً واتساعاً وبهاء.

لنحدّث البشر اذن عن تاريخ هذا الصراع وكيف انتهى. لنحدّثهم كيف اعتبر الناس هذا الحق< اسمعوا:

بعد معارك طويلة وعديدة استسلم الحق. استسلم في بستان، لكي يقدم لله التضحية الأخيرة. كان يريد أن يحارب على الأرض ويجاهد، الا أن الله سُرَّ من جهاداته فطلب منه البرهان الأخير على حبه، فقال الله للحق: لا بدَّ من أن تموت، لا بدَّ من أن تسلم نفسك لأعدائك. لقد جاهدت حتى الآن بكلامك فيجب أن تتألم الآن من احتقار البشر وتعذيبهم كي يتقوى بك كل الذين يحبون الحقيقة ويستمروا في النضال ... وسأمجدك.

سوف أمجدك، سوف أقيمك من الموت.

ولكن أدِّلي شهادة الحب هذه وشهادة الشرف.

وأنا أقيمك أباً لأبناء الحقيقة لأكافئك عن موتك وعن جهاداتك. أنت بكر الحقيقة وسيكون لك الأبناء الكثيرون، وكل الذين سيؤمنون بك ويحبونك ويتبعونك سوف يكون لهم نصيب معك في المجد. سيكونون معك ويدعون أبناء الله، أبناء النور والحكمة.

كما رفع موسى الحية في البرية، هكذا ...

(يو 3: 14)

كل من ينظر الى يسوع بإيمان وحب يخلص من الحية الجهنمية.

فأجاب الحق:

لتكن مشيئتك. انك لتطلب مني أمراً عسيراً وصعباً على الطبيعة، الاَّ أني أنفّذ الأمر ...

ورضخ الحق لإرادة الله.

الا انه بكى، بكى بكاء مراً، لأنه لم يستطع أن يعرّف نفسه لجميع البشر الذين أحبهم حباً جماً. بكى لأنه لم يستطع أن يلج قلب كل انسان، ولأنه عثر في الطريق على عوائق للدخول في كل النفوس ... بكى لأنه، رغم كل الآلام التي يتحملها حباً للبشر، لن يخلّص الاَّ عدداً ضئيلاً، بينما يبقى في الضلال والنفاق، تحت سيطرة الشيطان، عدد كبير من النفوس. بكى لأنه رأى أن ابليس سوف يبقى سيداً على جزء من البشرية.

م 6

النتيجة: اعطاء الحياة

❖ أراد الاب انطوان أن ينهي كتابه "التلميذ الحقيقي" بفصل عنوانه "سوف تتبعوني في مجدي".

م 12

ولقد أضاف على هذا العنوان بعض المراجع الكتابية، الاَّ انه لم يسهب في الموضوع.

فأية أهمية أعطاها لسرّ المسيح الممجّد والقائم من الموت؟ لا بدَّ لنا من أن نطرح السؤال لأننا تعلمنا في هذه الآونة الأخيرة أن نكتشف هذا السرّ في حياة المسيحي.

غالباً ما تكلم الاب انطوان عن القيامة والصعود في شرح اسرار السبحة الوردية. نراه يلح على الايمان بقيامة الأجساد. كما اننا نرى شرحاً للقيامة في تعليقه على ألقاب السيد المسيح.. في النص التالي مثلاً:

"هو القيامة والحياة"

القيامة في هذه الحياة الدنيا اولاً، حين يجعلنا الرب نعبر من موت الخطيئة الى حياة النعمة. والقيامة حين سينادينا من ظلمة القبر ليعطينا الحياة الأبدية. قيامة الأرواح، قيامة الأجساد، الحياة الروحية، الحياة الأبدية.

م 11 ت ح 75

❖ ولكننا نقرّ اننا لا نجد الاَّ نزراً يسيراً في هذا الموضوع. ونظن أن الاب انطوان كان قد أعار هذا الموضوع اهتماماً أكبر لو عاش في زمننا، ولو أعطي دروساً لاهوتية كاملة.

على كل حال، مهما قلنا فان الاب انطوان يترك لنا تعليماً مطابقاً لتعليم القديس بولس، الرسول الذي أحبه كثيراً.

ان لم يتكلم الاب انطوان الاَّ قليلاً عن سرّي القيامة والمجد فما ذلك الاَّ لأنه كان يتحرَّق ليتم في جسده ما ينقص عذابات المسيح من أجل جسده الذي هو الكنيسة.

(كولسي 1: 24)

ولئن لم يتكلم الاَّ نادراً عن سرّ القيامة، الاَّ انه اشترك في آلام معلمه وموته وأعطى هكذا الشهادة الكبرى على قوة قيامة المسيح. (فيليبي 3: 10)

من شاء أن يلمس الأهمية الحقة التي احتلها سرّ قيامة يسوع في حياة الاب انطوان فما عليه الاَّ أن يصعد الى سان فون، على هضبة الكلوشيت وأن يحبس نفسه ساعات طويلة في الكوخ القديم الذي حوّله الاب انطوان الى معبد لرياضاته الروحية ورياضات أبنائه. وهناك ليتأمل في الكتابات المدوَّنة على الجدران.

في البرادو، نسمي هذه الكتابات: لوحة سان فون Le Tableau de Saint Fons

انه ملخَّص فكر الاب انطوان شفريه.

بل، وأكثر من ذلك، هو صورة رائعة للاب انطوان.

وهو أخيراً، وخصوصاً، شهادة لقوة المسيح القائم من القبر والمنتصر على الموت الذي يستطيع وحده أن يهب البشر الاندفاع الروحي لتلاميذه ليسيروا معه على درب خلاص العالم.

والكلمة صار بشراً فسكن بيننا

الفقر

فقير في:	ومتواضع:
المسكن	بالفكر
الملبس	بالقلب
الغذاء	تجاه:
الخيرات	الله
العمل	البشر
الخدمة	الذات

كلما اتضعنا مجَّدْنا الله الكاهن انسان متجرد

كلما اتضعنا ازددنا نفعاً للقريب

(المذود)

أعطيتكم القدوة

الموت عن الذات

الموت عن:	التضحية بالذات في:
الجسد	الصمت
الفكر	الصلاة
الارادة	العمل
الصيت	التفكير
العائلة	الألم
العالم	الموت

الكاهن انسان مصلوب

كلما متنا ازددنا حياة

(الصليب)

أعطيتكم القدوة

المحبة

عطاء:	عطاء الحياة:
الجسد	بالإيمان
الفكر	بالعقيدة
الوقت	بالقول
الخيرات	بالصلاة
الصحة	بالسلطات
الحياة	بالمثل

الكاهن انسان يؤكَل يجب أن يصبح خبزاً لذيذاً

(بيت القربان)

فهرس بالرسائل التي وردت في هذا الكتاب

			الصفحة
الى السيدة فرانشه	البرادو	3/ 19/ 1863	103
الى السيدة فرانشه		1865	89
الى السيد كميل رامبو		"دار الطفل يسوع" 15/ 4/ 1859	93
الى السيد كميل رامبو		"دار الطفل يسوع" حزيران 1859	94
الى الاب غوردون		22/ 1/ 1866	31
الى الاب جاريكو	ليون	20/ 3/ 1868	14
الى الاب جاريكو		ايار 1869	65
الى الاب جاريكو	البرادو	5/ 4/ 1878	91
الى الإكليريكيين	البرادو	24/ 1/ 1872	29
الى الإكليريكيين		6/ 6/ 1873	51
الى الإكليريكيين		حزيران 1872	
الى الإكليريكيين	البرادو	2/ 1/ 1875	13
الى الإكليريكيين		تشرين الثاني 1876	75
الى الإكليريكيين	روما	22/ 5/ 1877	76
الى الشماس فاريسيه	البرادو	كانون الاول 1872	42
الى الاب دوره	فيشي	1/ 7/ 1878	34
الى الاب دوره		1879	70
الى الاخت فيرونيك	روما	16/ 4/ 1887	32
الى الآنسة ده مارغوري	لانتينه	حزيران 1876	37
الى الآنسة اميلي تاميزيه		1872	104
الى شخص مجهول		18 آذار	24

ملاحظة: لن تظهر هذه الرسالة الواحدة والعشرون في مجموعة "رسائل الاب انطوان"

الفهرس

			صفحة
الاهداء			2
مقدمة الطبعة الاولى			3
مقدمة الطبعة الثانية			4
بعض التواريخ			6
افتتاحية			12
الفصل الأول	1	معرفة يسوع المسيح	13
	2	بدراسة الانجيل المقدس	23
	3	ملخص القاب سيدنا يسوع المسيح	36
	4	التعلق بيسوع المسيح	37
	5	صلاة الى الكلمة	47
الفصل الثاني	1	عمل الروح القدس	51
	2	لنحي حسب الروح	61
	3	الجسد قربان حي	63
الفصل الثالث	1	بعض الالتزامات	67
	2	الطاعة	67
	3	الفقر	72
	4	الالم والصليب	87
الفصل الرابع	1	التعليم المسيحي	93
	2	النتيجة: اعطاء الحياة	107
		لوحة سان فون	109
فهرس بالرسائل التي وردت في الكتاب			110